علاء العبادي

# حوارات الرمل والماء

**رواية**

**(خليط من القصة والسيرة الذاتية)**

**2022**

**الرجل لايخسر عندما يسقط ..**
**ولكن .. عندما لاينـهض.**

**الى**
**فاروق الخالدي**
**الصادق الامين**
**مرة اخرى**

هذا ليس صوت السجان عبدعلي, ولا صوت السجان ابو مشتاق, هذه اصوات عصافير. ماذا تفعل العصافير في السجن؟ هل هذه عصافير السجن ؟ هل هذه عصافير الكاتراز؟ هل سارى برت لانكستر مرة اخرى. لم انم منذ يومين لقد اصابني الاسهال الشديد نتيجة طعام قدم لنا في مطعم السجن كان الطعام كالعادة شوربة ماش لاننا كنا في فصل الشتاء وصمون حجري قاس كانه الحجارة يذكرني بصمون الجيش كنت احبه جدا وكنت احرص على ارتداء السراويل العسكرية ذات الجيوب العديدة لا لشيء الا لاضع فيها ما احصل عليه من الصمون ولاخذه لاحقا الى البيت عندما احضرت بعضا منه اول مرة قالت امي انه طيب ولكنه قاس لن يتحمله ابوك وربما لن يستسيغه ابدا تعرف ان اباك لم يلتحق بالجيش نجا منه عندما اعتبروه معيلا , ويبدو ان الحكومة انذاك كانت تستثني المعيل من الخدمة العسكرية. اعتقد انه لم يذقه طيلة حياته, ساعرضه عليه مع رغيف خبز لحم وصلني اليوم من جارتنا ام هيثم, وتعلم ان اباك وانا نحب خبز اللحم حتى وان لم يكن فيه شيء من اللحم ولكننا نستطعمه كثيرا, قالت اختي:

- ياله من طعم. انا احبه, لقد احببته, شكرا لك سيكون طيبا جدا مع الحليب الحار ياله من طعم طعمه غريب لايشبه الصمون الحجري ولا الفرنسي ولا اي صمون اخر انه صلب وقاس نعم ولكن له طعم مميز هل تعلم كيف يصنعونه ؟ قالت امي:

- توقفي الان ودعي اخاك يغير ملابسه ليتسنى له تناول الغداء ؟ اليس كذلك يابني انت جائع اليس كذلك هل اكلت الطعام الذي اعددته لك, لقد رايتك تضعه في جيب سروالك , يبدو عليك انك تناولته, هل اعجبك ؟ بيض مسلوق وبطاطا مسلوقة, طعام السفر, اليس كذلك؟ ولكنني اعرف انك تحبه لم يكن ثقيلا عليك,
- البيض طيب قالت الصغيرة خاصة مع العنبة اخ نعم نعم طيب مع العنبه انه طعام السفرات المدرسية كنت احب الاشتراك في السفرات المدرسية لا لشيء الا من اجل الطعام الذي كانت جميع الطالبات يحرصن على ان تاتي كل واحدة بنوع معين من الطعام تعده لها والدتها ليلة السفر والذي غالبا مايكون من البيض المسلوق والبطاطا المسلوقة والطرشي او العنبة او كباب العروك الذي يسميه البعض كباب طاوه وواحدة او اكثر تحضر الكباب التقليدي يقوم ابوها او اخوها الكبير بالذهاب الى الجزار لشراء كيلو لحم عجل مثروم ليقوم الاب عادة بتحضير منقلة الشواء واعداد الفحم واشعاله بطريقة ما فيما تقوم الام بوضع اللحم المثروم بعد خلطه بقليل من الطحين على اسياخ خاصة بالكباب فيما يقوم الاب قبل ان يستلم اسياخ الكباب بادخال بعض رؤوس البصل والطماطم التي اعدتها الام مسبقا في الاسياخ المعروفة باسياخ التكه كنت احب هذه الطقوس الخاصة بالسفرات المدرسية كنت احب النظر الى انواع واصناف الطعام التي تقوم الطالبات بنشرها وتوزيعها على السفرة التي تمتد بطول مترين من النايلون السادة او المشجر وكنت احب ان اسمع اسئلة البنات ماذا احضرت يافلانة وانت يافلانة ماذا احضرت انا احضرت كبة البرغل وكبة الحلب قالت الاخرى انا احضرت مخلمة انا احضرت الكباب والبصل والطماطم المشوية لتبقى واحدة منهن

مازالت تطاطا براسها وتخجل من رفعه والنظر الينا كنت اعرف انها من عائلة فقيرة لقد حدثتك عنها ياامي هل تذكرين لقد لاحظتها في اول سفرة عندما امتنعت عن المشاركة في السفرة التي شاركت بها جميع الطالبات وعندما اصرت المعلمة على معرفة سبب عدم مشاركتها انفجرت المسكينة بالبكاء

- ماعدنا فلوس ست احنه فقره ماعدنه فلوس ماريد اروح وياكم عوفوني ست, وبكت المعلمة وبكينا نحن عندما كانت دموعها تسيل على خدودها السمراء التي ظلت تنهمر حتى بعد ان هداتها المعلمة وطمانتها ان
- لاباس لاباس ياحبيبتي مو مشكلة مو كلنا عدنا فلوس والفقر موعيب راح تجين ويانه للسفرة على حساب المدرسة وعلى حسابنا كلنا تمام بنات ؟ صاحت بنا المعلمة وهي في منتهى الحزن والالم واجبناها تمام ست كنت انا وبعض البنات قد بدنا بالبكاء منذ ان اجهت المسكينة بالبكاء بعد سؤال المعلمة المفاجيء تذكرين ذلك امي عندما عدت من المدرسة ذلك اليوم وبدات بجمع كل ملابسي والعابي واحذيتي واردت وضعها في حقيبة كبيرة لكي اعطيها للفتاة الفقيرة وكنت تبيكن وتضحكين في نفس الوقت وصرخت بك وانا اذرف دموعي
- ماما لاتضحكين عندما ياتي ابي سيعطيني بعض المال لاعطيه للفتاة مع الملابس ماما لماذا تضحكن وكنت تجيبن وانت تنظرين الى جهة اخرى
- لايمه لا والله مدا اضحك لقد قهرتني المسكينة خطيه سوده علي بطت جبدي حبيبتي شتريدين تسوين سوي بس خلي ننتظر بابا اول مرة ونشوف شنسوي كلنا بلكت بابا عنده غير راي. كنت انا بعد ان رايت ان لا نهاية قريبة لسيل الذكريات هذا قررت الذهاب الى غرفتي لتبديل ملابسي

العسكرية بالدشداشة الشتوية التي اشتريتها في اخر زيارة لي للنجف الاشرف مع احد الاصدقاء لزيارة صديق عزيز اخر انتقل الى النجف من بغداد قبل سنوات بحكم العمل حيث حصل على فرصة في جامعة الكوفة استاذا للتاريخ بعد ان حصل على شهادة الدكتوراه منذ سنوات ولم انتبه الا على صوت الصغيرة وهي تقول

- عيني عيني اليوم مسويتلك اكلتلك المفضلة

انا : محروك اصبعه؟

هي : لايابه لا

انا : لعد شنو :

هي : احزر

انا : تشريب احمر :

هي : هم لا

انا مستمرا : تشريب احمر بالحمص والنومي بصرة والبصل تشريب احمر

انا : ولاني لم اكن جائعا تمددت على سريري بعد ان اخذت كتابا من فوق رف مكتبتي الصغيرة :

- اني مو جوعان اريد اقرا

هي : طاس كباب

انا قافزا من السرير ورواميا الكتاب عليها

بشرفج ؟

لا ادري متى بدات احب هذه الاكله التي كانت امي تصنعها لي خصيصا بعد ان ابديت اعجابي بها اول مرة وكنا نجلس معا لتناولها والتمتع بها بل والتغزل بها في كل مرة, كانت الاكلات التي احبها كثيرة كثيرة جدا لقد ولدت لاحب الاكل كلنا كنا نحب الاكل ونخصص اياما معينة لبعض الاكلات الاربعاء مثلا كان مخصصا لاكل السمك الذي كنا نمتنع عن اكله يوم السبت, والجمعة للاكلات الثقيلة مثل مطبك الدجاج او مطبك الباكلة والجزر والماش الخ كانت طقوس

الاكل لدينا طقوسا مقدسة, كنا نستمتع بالاكل ولم نكن نجمع بين اكلات الصيف واكلات الشتاء كنا نسمي الصيف صديق الفقير بسبب توفر جميع الخضروات فيه كالباميه والباذنجان والشجرالذي يسميه باقي العرب الكوسه, والسبانخ والبربين الخ فيما تعتمد اكلات الشتاء وبسبب عدم توفر الخضروات على الحبوب فقط مثل الفاصوليا والعدس والماش وغيرها, لقد بدات اشعر بالجوع حالما نطقت اختي باسم الطاس كباب عندما وصلت الى المائدة كانت امي تنتظرني هناك سعيدة مبتهجة وتشير بكلتنا يديها الى صحن الطاس كباب المقدس كانها تقول شلوني؟ لم اقل شيئا سوى

- عاشت ايدج يوم رحم الله والديج, كانت تقف متباهية وفخورة بما انجزت كانها حررت فلسطين, كان اكل امي وطبخها طيبا ولذيذا وكان الجميع يحترمها ويعزها ويقدرها لمهارتها الكبيرة في طبخ كافة اصناف الطعام وكان معظم اقرائنا يعتمدون عليها في الكثير من مناسباتهم عندما كانت العوائل العراقية انذاك تعتمد على نفسها في اعداد الطعام وقبل زمن طويل من ظهورالطعام الجاهز او المعد من قبل المطاعم ثم بعد ذلك افتتحت معامل ومحلات متخصصة بطبخ اصناف معينة من الطعام الذي كان يقدم في المناسبات التي تستدعي حضور عدد غير قليل من المدعوين خاصة في مناسبات الزواج والماتم . كان الطعام يحتل جانبا مهما من حياة العراقيين , يحبون الاكل ويحبون من يجيد طبخه واعداده , وبسبب كرمهم الشديد , كانوا ومازالوا يقدمونه بكميات كبيرة واصناف متعددة ويمدحون الرجل او المراة او العائلة بالمائدة او مايسمونه في العراق السفرة بضم السين وفتح الراء وهي عادة ماتكون من المشمع او الجلد بعرض متر او اقل وبطول تناسب ومساحة الغرفة او القاعة او الساحة الخارجية او الحديقة ويقولون عن الرجل الكريم
- ابو سفرة

- شوف سفرته شلونها
- ماكو مثل سفرة فلان

والعراقيون وبسبب طيبتهم وبساطتهم لايفضلون تناول الطعام الا على الارض وهم في ذلك سواء لايهم اذا كان الرجل منهم غنيا ميسورا او فقيرا معدما ذا منصب كبير في الدولة او عاملا بسيطا او فلاحا واظن ان فلاحي العراقي في كل مناطقه الشمالية والجنوبية مازالو يتناولون وجباتهم وهم جلوس على الارض , اتذكر انني عندما عدت من اوربا بعد قضاء بضع سنين هناك , وبعد ان استقر بي المقام وزوجتي في بيت والدي رحمه الله اتصلت بنا اخت زوجتي المقيمة مع عائلتها في مدينة كربلاء تدعونا لزيارتها والبقاء عندها بضعة ايام , وذلك بعد ان كانت زياراتنا لها لاتزيد عن ليلة واحدة او العودة في نفس اليوم , كنت احب السفر خاصة الى المدن التي تضم المراقد المقدسة كالنجف الاشرف وكربلاء وسامراء والكاظمية , قلت لزوجتي حالما اخبرتني بهذه الدعوة الكريمة

- ابدل , يعني اغير ملابس الان , قالت
- على كيفك, شنو حبها ولبط , انطيني عطوه , خلي اشوف دربي , اليوم العصر نطلع نشتري كم حاجة خو مانطب وايدينا فارغة , انت مو تكول اليطب ايده فارغة مابيه حظ
- اوكي اوكي صار معلوم شنو الغدا؟
- السمجة اللي بقت مال البارحة , ومطبك باكله مال يوم الجمعه.

ومعظم العراقيين لايستنكفون من تناول الاكل البايت اي المطبوخ قبل يوم او اكثر ولايتبطرون على نعمة الله , نعم يسمون الطعام اي طعام نعمة الله ولايجب او لايجوز التبطر عليها , ومن عاداتهم في تناول الطعام انهم يحبون ويرغبون ويتعمدون وبقصد تناول بعض الاكلات البائته كالبامية والسبزي اي السبانخ يقال انهم كانوا يتناولونه في العشاء ويتركون البقية منه لصباح اليوم التالي

يتناولونه على الافطار . ومن عاداتهم ايضا حرصهم الشديد على عدم رمي الخبز على الارض ويلتقطون قطعه من الشارع ويقبلونها ويضعونها على جبهتم ثم ينقلونها الى مكان بعيد عن قارعة الطريق , وكانت للعراقيين اكلات خاصة لايقدر عليها سوى الاغنياء والميسورين مثل اكلة العراقيين الشهيرة المسكوف او السمك المسكوف وهي عبارة عن شوي السمك بطريقة خاصة حيث يتم اشعال النار من اغصان شجرة التوت او الصندل اوالصفصاف كونه يعطي نكهة خاصة تختلف عن نكهة ورائحة الفحم وتعلق السمكة التي عادت ماتكون اما كطان او بني او الشبوط او الاسماك حولها بعد ان يتم فتح السمكة من ظهرها ( *والعراقيون هم الشعب الوحيد في العالم الذي يفتح السمكة من ظهرها* ) ثم يعلقونها على عيدان قوية من ظهرها لتكون بطنها المفتوحة بالكامل بمواجهة النار , واتذكر انني لم اذق هذاالنوع من شواء السمك الا عندما كنت صغيرا عندما دعانا احد اقرباء والدي الى بيته وكان من الميسورين حيث وجدنا ثلاث سمكات كبيرات مشويات على طريقة المسكوف ولاننا نحن السبعة اولاد ابي كنا صغارا ولم يسبق لنا ان راينا مثل هذا الطعام لم نمد يدنا اليه ابدا لكننا هجمنا على بقية الطعام الذي اعدته ربة المنزل . اريد ان اعود هنا الى دعوة اخت زوجتي في كربلاء والاشارة الى انني انتبهت وربما من اول زيارة لنا لهم انهم كانوا يدعوننا الى تناول الطعام على الارض وجلست في اول زيارة لي لهم مرغما خجلا من اخبارهم بعدم امكانية جلوسي على الارض كنت احب تناول الطعام بهذه الطريقة ولكن بسبب تقدمي في السن واصابتي بجلطة الدماغ وقبلها اجراء عملية ازالة الغضروف بين الفقرتين الرابعة والخامسة اصبح من الصعب بل من المستحيل ان اثني ساقي واجلس علما انني وبعد اجراء العملية اصبح من التعذر علي السجود في الصلاة واضطررت الى الصلاة جالسا على كرسي او اي شيء عالي .

صاح بي السجان عبدعلي

- استاد عندك زيارة

كنت اريد ان اسال عبدعلي الثخين المليء بالشحم

- عبد ماهذه الاصوات؟ قال عبدعلي
- يااصوات استاد
- اصوات العصافيرالا تسمعها؟ قال عبد وهو يحاول ان يصنع ابتسامة بلهاء وهو يطيل النظر الى منضدة قريبة من السرير وضعت عليها عددا من الكتب والمجلات وعلبة السكائر غير المفتوحة والمرمية باهمال على علبة البقلاوة التي احضرتها زوجة احد الاصدقاء الذي فر الى سوريا قبل بضعة اشهر على امل التقديم على الهجرة الى الولايات المتحدة بعد ان استلم اكثر من رسالة تهديد بالقتل اذا لم يغادر المدينة الى مدينة اخرى وكان الغرض من التهديد واضحا تماما كانوا يريدون الحصول على منصبه في الجامعة كان عميدا لاحدى الكليات العلمية ونصحته الجامعة بمغادرة المدينة مؤقتا ونصحه اخوه المقيم في سوريا ونصحه اهله واصدقاؤه وطلابه الا انه ابى ورفض الاذعان لتهديد سخيف كما كان يقول الا ان اصدقاءه اكدوا له انهم استلموا مكالمات هاتفية من مجهولين اكدوا لهم اصرار وتصميم جهة التهديد على قتله اذا لم يذعن لرايهم ويقرر مغادرة المدينة فورا كنت اتحدث الى عبد وعبد يتحدث الى علبة البقلاوة العراقية التي تاسفت عليها كثيرا لاني كنت احب البقلاوة جدا خاصة البقلاوة العراقية ام الجوز لقد استولى عبد علي على علبة البقلاوة لاني مثل اي احمق سارعت بالتبرع بها له بعد ان اصبح عبد على على بعد نصف متر من المنضدة بعد ان تركني واقفا عند باب الزنزانة افكر في اصوات العصافير التي بدا صراخها يعلو

كلما حاولت ان امنع عبدعلي من التقدم والاستيلاء على كيلو البقلاوة, وكالاحمق الذي يتخلى عن بلده لاسباب تافهه وغير معقولة همست لعبدعلي

- عبد شنو رايك بحلويات جواد الشكرجي

عبد: استاد ضايك البقلاوة ام الكيمر

انا : عبد اخبرني ارجوك عن صوت العصافير

عبد : ياعصافير استاذ شنو شو مافاتح العلبة صارلها هواية مو اخاف تعدم وبعد منكدر ناكلها

ووبساطه شديدة لايملكها اكبر برفسور في علم النفس انتقل عبد من صيغة المفرد شو مفاتحها؟ الى صيغة الجمع بعد منكدر ناكلها

انا : منتظرك تجي عبودي حتى انطيكياها

كان المفروض ان اقول لكي ناكلها معا

عبد: مشكور استاد ماتقصر ممنون جدا منك ياورده كان عبد اقرب السجانين لي لااقول انني احببته ولكني كنت ارتاح معه واعتقد انه كان يحبني ويدافع عني امام الاخرين سمعته مرة وانا في المغاسل يقول لمن معه

- انعل والديه اللي يحجي على الاستاد شعدكم وياه تحجون عليه اولاد المدس عوفوه براحته شيريد يسوي خلي يسوي لاموشيوعي دا اكلك موشيوعي الاستاد مثقف وكل مثقف تكولون عنه شيوعي وانتبهت الى ان احدهم اقترب من عبد وهمس باذنه شيئا ما فسكت عبد وانسحب الى غرفته ولم اره بعد ذلك ابدا. لم ار عبد علي ولم اسمع عنه اي شيء ولكن الغريب انه عندما اختفى عبدعلي اختفى ايضا عبدالحميد الذي ساتحدث عنه لاحقا بعد ان ظل يرسل لي رسائله بانتظام توقف فجاة بعد ان انتبهت ان هناك تطورا خفيا في رسائله الاخيرة كنت اشعر انه يود ان يقول لي شيئا ما وعندما توقفت عن استلام الرسائل عرفت انني كنت محقا وان عبدالحميد كان يريد ان يقول لي شيئا ولكن ترى ماالذي منعه وماهو هذا الشيء الذي تردد او امتنع عن قوله او ذكره في النهاية

قالوا لي انه نقل الى سجن اخر او انه مريض ومازال راقدا في المستشفى بقيت قلقا على عبد وافكر فيه كثيرا ماذا جرى له ماذا حدث هل تمت معاقبته بسبب ماكان يقوله او بسبب دفاعه عني نعم انا كنت المثقف الوحيد في السجن ودخلت لاسباب سخيفة كما اظن لم يخبرني احد سبب دخولي السجن ربما لاني تفوهت ببعض الكلام عن الحزب والثورة والقيادة ربما حدث ذلك ولكن سوى ذلك لم افعل شيئا يستحق ان ادخل السجن بقيت افكر بالسجان عبدعلي الذي بقي معي اكثر من سنة وقامت بيننا علاقة صداقة قوية جدا لقد سمعت الكثير عنه ولكني سمعت اكثر منه شخصيا روى لي في بعض اللقاءات عندما لايستطيع النوم وعندما كان ياتي الى غرفتي بحجة حاجته الى لفافات التبغ انه لم يكن محظوظا جدا في حياته وعندما سالته

- ليش عبد الم تقل انك ميسور الحال ومتزوج من فتاة جميلة ولديك منها بضعة اولاد مازالوا في الدراسة الابتدائية وانك بصحة جيدة
- قال والالم يبدو على محياه
- استاد كلما كنت طيبا مع الاخرين كلما اساؤوا لي وسخروا مني نعم انا ضخم الجثة ونعم انا وهذه اول مرة تعرفها وتسمعها مني ان لي قضيبا عظيما لم استعمله الا مع اهلي الا ان الاخرين بدلا من ان يبدوا اعجابهم بهذه الميزة بدؤا بوضع النكات البذيئة عني مثلما فعلوا مع المطرب سعدي الحلي عندما اتهموه بالمثلية واللواط
- قلت وانت شعليك بيهم لاتفكر بيهم ولاتهتم
- لا استاد ميصير قبل سنوات وصلت احدى هذه النكات الى اهلي واستاءت كثيرا وزعلت وراحت البيت اهلها لمدة شهر وقررت ابطل من الشغل واسافر خارج الولاية لكن اخوتي منعوني استاد وساعدوني ورجعولي مرتي.

وكنت اتعجب واتساءل عن نوع النكات التي يمكن ان تقال حول من لديه قضيب كبير ان هذا مدعاة الى الاعجاب والفخر والتباهي

ولكن اظن ان سبب لجوء البعض الى صنع النكات البذيئة الى الغيرة لاغير لم يكن عبدعلي بدماثة خلقه وطيبته وسذاجته احيانا وربما بلهه يستحق ان يسخروا منه لم تشفع له كل تلك الصفات الطيبة, هذه الصفات لم تكن مرغوبة في مجتمع متخلف وجاهل ماشفع لعبد هو ضخامته غير الطبيعية كان ضخما جدا لقد ارعبني منذ ان رايته اول مرة وخفت منه وصرت اتهيبه واتحاشاه بضعة ايام لقد روى لي الكثيرون قصصا عن قوة عبد خاصة عندما يغضب. لم اكن اختلط مع احد حتى ممن وجدتهم مثقفين ويقرؤن لم اكن اثق باحد كان ذلك درسا تعلمته عندما دخلت السجن لم اكن منتميا لاي جهة ولااحمل اية افكار ثورية متطرفة لم اكن متطرفا كنت جبانا جدا وعاجزا عن حمل اية فكرة راديكالية نعم كنت احب النظرية الاشتراكية وادافع عنها واحب الثوريين والثورات لكني لم اجرؤ على الاقتناع باي فكرة كنت مهتما باموري الشخصية وافكاري واحلامي ورغباتي ولكني مع ذلك كنت عندما اتحدث في موضوع ما كنت اتحدث بانفعال وبصوت عال مثل اي شيوعي متمرس كنت املك الكثير من الحجج واحفظ الكثير من الوقائع التي تشفع لي في طرح حجتي وتساعدني في تقوية رايي واعتقد ان لساني ربما هو من قادني اخيرا الى السجن كان التفكير بصوت عال مرعبا انذاك لم يكن مسموحا لنا ان نفكر او ان نقول بما نفكر ونعتقد لم يكن ذلك مسموحا لنا على مدى عقود من الحكم الفردي الديكتاتوري المتسلط كنت اعاقب نفسي في السجن بعدم الاختلاط بالاخرين رغم اني كنت احب الحديث مع احد ما لكني اليت على نفسي وباصرار وعزيمة كاملة ان لااقترب من احد او اسمح لاحد بالاقتراب مني لاي سبب كان, كان بعض الموقوفين يودون ويرغبون بالحديث معي وكانوا يبحثون عن شتى الطرق التي تساعدهم بالاقتراب واجراء الحديث حاولوا مرارا احيانا بحجة الحاجة الى بعض الادوية التي كنت احتفظ بالكثير منها خاصة مسكنات الالم كالاسبرين والباراسيتامول او ادوية الالتهابات مثل

الكيفلكس واللينكوسين وغيرها وعندما انتهت هذه الحجة لجؤوا الى حجة الكتب كنت املك الكثير من المجلات والكتب التي واضبت زوجتي على تزويدي بها عند كل زيارة كنت ازودهم بما يحتاجون من الكتب والمجلات اسلمهم مايحتاجون بسرعة لاتسمح لهم بالجلوس او البقاء في غرفتي كان بعضهم يقرا ولكن احدا منهم لم يجرؤ على ان يطلب من زائريه ان ياتوه بالكتب او المجلات انا كنت الوحيد الذي حرص اهلي واصدقائي ومعارفي على تزويدي بالاصدارات الجديدة من الكتب كنت احب القراءة خاصة الروايات والقصص الطويلة قرات الكثير منها بداية شبابي كنت في سباق مع القراءة اريد ان اقرا كل شيء واي شيء عندما لم اكن استطيع شراء كتاب ما كنت اذهب الى المكتبة العامة كان الهدوء هناك ممتعا للغاية كنت احب هذا الهدء احب الهدوء مع الاخرين كنت احب ان اكون مع الاخرين ولكن لوحدي كانت هذه الوحدة تعجبني اكثر مما ان اكون لوحدي ,من المؤسف انني انسى الاساءات, هل هذا هو السر الذي ابقاني على قيد الحياة لماذا لا ارد اساءة الاخرين لي؟ لم اكن جبانا ولاضعيفا لقد اختبرت شجاعتي وجراتي في مواقف كثيرة ولكنني كنت شيئا اخر مع البشر, كنت احظى باحترام وربما حب ومودة الاخرين ولكن ليس كل الاخرين كنت اتنازل بسرعة عن حقوقي, بسرعة كبيرة, لا ادري لماذا كنت افعل ذلك كنت اتصرف بدون وعي اترك نفسي تتخذ القرار السريع الاني دون تدخل مني وكل قراراتها كانت ضدي ولم تكن في صالحي ربما لاني كنت افترض وهذا كان من اخطائي الكبيرة ان الاخرين يجب ان يتصرفوا مثلي مؤدبين مثلي منصفين مثلي يحترمونني كما احترمهم اعتقد انني كنت مغفلا واحمقا بعض الشيء لانني اختبرت الاخرين الاف المرات وتركتهم يتصرفون كما يريدون وليس كما يجب ان يكون. كنت مثاليا جدا والمثالية كانت ضعفا وسخافة وغير مقبولة في بعض المجتمعات وبسببها بسبب هذه المثالية الحمقاء دخلت الجحيم في الكتاب الاول.

اليوم فاجاءتني زوجتي عندما اخرجت من حقيبتها التي تاتي بها عند كل زيارة والتي تسميها الخرج بضم الخاء والراء وهو عبارة عن كيس من القماش بحمالتين رفيعتين كل واحدة على جانب ليسهل حمله وعادة مايتم صنعه في البيوت وذلك قبل ان تظهر مثيلاته لاحقا التي قاموا بصنعها من النايلون او من القماش السميك وبالوان زاهية عددا من حافظات الطعام البلاستيكية التي تستعمل لمرة واحدة

- قلت ماذا احضرت؟ ماهذا؟
- قالت فطائر,

ولاني احب الفطائر نظرت اليها وقلت بكل عذوبة ولطف

- I love you
- قالت اريد اروح الكربلا ازور الامام الحسين قالت ذلك عندما راتني لم امد يدي الى اوعية الفطائر ولا انظر اليها
- قالت شتكول؟

اتصلت بي قريبتنا ام علي ودعتني للذهاب معهم ومجموعة من الزوار يوم الخميس بعد الافطار ونعود بعد صلاة الفجر كنت اود ان تكون معي كما كل مرة ولكن انا مقهورة جدا ولم اخرج منذ وقت طويل وانت بعيد عني قالتها بالم وحسرة هذه البعيد عني شتكول حبيبي قلت بدون تفكير

- طبعا طبعا اذهبي اذهبي الخميس تقولين يعني بعد غد نعم اذهبي وادعي لي لعل الله ببركة الامام الحسين واخيه العباس ان يفرج علينا امرنا ويخلصنا من هذه الشدة ارجوك اذهبي احجزي مكانا لك معهم قالت
- الا تمانع؟ قالتها بصيغة الاعتذار
- اجد الامر غريبا وغير معقول انت هنا في المعتقل وانا اسافر غير معقول وغير منطقي؟

قلت محاولا طمانتها ومنعها من اقناع نفسها بعدم السفر والغاء الفكرة

- لماذا تقولين انه امر غريب هذا ليس سفرا لاجل الترويح والتمتع لا انت ذاهبة الى الحسين, الحسين هو من دعاك ارجوك لاتشغلي نفسك بالتفكير ساكون سعيدا لو ذهبت اليوم الثلاثاء مو؟
- اي اليوم الثلاثاء وغدا الاربعاء وبعد غد الخميس بعد الافطار والعودة بعد صلاة الفجر, مضى وقت طويل منذ اخر زيارة لابي عبدالله ليتك كنت معي انا اشتاق اليك كثيرا اشتاق حقا لماذا حدث كل ذلك لنا لماذا كل هذا الحرمان لماذا يحرموني منك؟ ( كانت حواراتنا تتخذ هذاالنمط منذ ان دخلت السجن , نتحدث في موضوع ما ثم تعود الى هذه النغمة نغمة الاشتياق, كنت اعرف حاجتها ) ليتك تاتي معي الى كربلاء الجو حار ارجو ان لاتفسد هذه الفطائر هل بالامكان حفظها في الثلاجة حتى يحين موعد الافطار لديكم ثلاجة اليس كذلك؟ رايتها اكثر من مرة, انها قريبة من غرفة الحرس اطلب منهم ان يضعوها لك في ثلاجتهم. قلت وانا ما ازال مشغولا بالنظر الى صدرها الذي يكاد يتلاشى ويضمحل بسبب الحرمان الطويل
- ياصدرها يا صديقي الذي لم يتخل عني على مدى اربعة عقود كيف تنام وتغفو من دوني ياصدرها من يتحسسك من بعدي ماذا تقول لك سيدة القهر والحرمان قل لي ياصدرها
- علي وين رحت؟ وين دتباوع اكلك الفطائر احتمال تخرب حاول ان تضعها في الثلاجة .
- ها اي طبعا ولكن ياحبيبتي اذا وضعتها في ثلاجتهم اكلوها ونحن الموقوفون اولى بها ساعطيها لرفاقي الاخرين ليسوا كلهم صائمون اعرف انهم سيقضون عليها خلال دقائق وربما لن يبقوا شيئا منها للصائمين.
- ميخالف خل ياكلوها بالعافيه الف عافية انا احضرت كمية كبيرة منها لاني اعرف انك تحبها مازلت اسميك ابو الفطائر

اضافة الى اسمائك الاخرى هل تذكر؟ الشيخ الوقور واللطيف وعلوان والاخيرة التي قلتها لك ليلة الاعتقال هل تذكرها؟

- علواوي , اليس كذلك نعم اتذكرها وابتسم كلما تذكرتها يوما عندما حرمتني من التمدد فوقك بحجة الوزن اتذكرين ؟ هل يعجبك وزني الان لقد اصبحت جلد وعظم كما تقولين هل يعجبك وزني الان؟ لقد فقدت الكثير من الوزن
- بسبب الجوع كما ارى
- بل بسبب القهر ياعزيزتي والتفكير بك طوال الوقت
- متى تعتقد انك ستخرج ؟ هناك امل .اليس كذلك ؟
- اي طبعا اجبتها وانا مازلت اتجول في جسدها. ليس هذا الجسد الذي لا ارى منه شيئا ولايمكن لاي احد ان يرى شيئا منه او ان يتخيله لا ابدا انا الوحيد الذي اعرف هذا الجسد منذ ان اطلعت عليه ورايته امامي اول مرة عندما تركت خجلها وحياءها كله في تلك الغرفة الصغيرة في ذلك الفندق الهاديء عندما لم تقل ادر وجهك او اذهب الى الحمام بينما اخلع ملابسي لا ياسيدي ولكنها تركتني اساعدها في خلع ملابس العرس قطعة بعد قطعة. اذن هذا مايفعله العرسان ليلة الدخلة هو يرى ويتعرف على اسرارها سرا بعد سر متسائلا عن الخطوة التالية مستعيدا كل او اغلب ماقاله له اقرباؤه او اصدقاؤه عن ليلة الدخلة بحكم تجربتهم او ماقراته عبر مئات الكتب والمقالات وماسمعته عن قصد او عن غير قصد في اماكن وازمان مختلفة كانت قد رسخت في ذهني بعد ان تكررت اكثر من مرة وعلى اكثر من لسان كنت افكر بكل الاشياء القذرة ربما لاني كنت الوحيد الذي لايستقبل زوجته في فراش السجن وكان البعض يسالني ولكن لماذا اي لماذا لاتاتي امراتك لتضاجعها في سرير السجن كما نفعل نحن جميعا عندما نستقبل نساءنا في

الغرفة البيضاء لماذا كانوا يعتقدون ان كابتي وحزني وانعزالي وصمتي واعتكافي لايام في الغرفة لا اخرج الا لقضاء الحاجة هي بسبب الكبت الجنسي وعدم لقائي بزوجتي كما يفعلون لم اكن على استعداد لاخبرهم ان زوجتي هي السبب لاتريد ولاتقبل ولاتسمح لنفسها ان تحصل على المتعة بهذا الشكل وبهذه الطريقة لن يحدث ذلك ابدا اعرفها جيدا ومازلت اعرف بل واتذكر المرات التي نامت معي في سريرنا عارية او فقط بالاتك ( *كلمة تركية تعني ثوب النوم يستعمل من قبل النساء* ) اتذكرها مرات قليلة لاتزيد عن اصابع اليد الواحدة وفي كل مرة تقوم باغلاق ابواب القلعة والتاكد مرة او مرتين من اغلاق الابواب والشبابيك وانزال الستائر والتاكد من عمل مفتاح غرفة النوم التي وضعت لها مزلاجا صغيرا تقوم بغلقه اذا اتفقنا على عدم غلق الباب بالمفتاح لكنها وفي كل مرة وبعد ان تقوم بسحب المزلاج ووضعه في وضع الاغلاق تعود الى المفتاح وتديره مرة ومرتين للتاكد من ان الباب مغلقة وان الاضواء مطفاة والستائر مسدلة وان الهدوء يعم الغرفة واني بعد ذلك كله يجب ان ابقى ساكنا ممددا وفي الوضعية التي تركتني فيها قبل ان تباشر مهامها وعملها في الغلق والسد ثم تاتي لتتاكد من كفاية الاغطية الخفيفة والثقيلة على حد سواء حتى وان كنا في فصل الصيف حيث لاتثق بالملاءات ابدا تقول انها لاتسترنا بما فيه الكفاية ثم بعد ان تنتهي من كل ذلك وقبل ان تدخل اخيرا في سريرنا وقبل ان تضع راسها على الوسادة تنظر الى السقف وهي تمد يدها الى فمي ان اسكت دا اسمع صوت وهي تسمع الصوت والاصوات حتى وهي نائمة واقول لها نحن لوحدنا وفي كل مرة كانت ترد

- ابو احمد يمكن رجع من الشغل

وفي كل مرة اقول لها مالنا ومال ابو احمد يمعودة دنامي عاد ولاتنام حتى يهدا ابو احمد ويتوقف عن التنفس تماما لتمد جسدها الممتليء وتسمح لي بمد ذراعي تحت رقبتها قبل ان تقول

- تاخرت عليك
- عادي
- قبلني

كان السرير, سريرنا اخر ملاذاتها القليلة النادرة ولعله كان ملاذها وحصنها الوحيد, هناك تشعر بالاطمئنان وبالراحة تقول

- عندما اكون في حضنك اشعر بالراحة وكل تعبي يزول
- كما تفعل جميع النساء
- نعم كما يحصل لجميع النساء
- لذلك تحتاج المراة الى الرجل بالرغم من قسوته وخلقه وغضبه وسوء سلوكه
- فان المراة تظل تحتاجه ربما لهذا السبب اليس كذلك؟
- نعم توقفي الان عن الكلام ودعيني اقبلك كما تريدين
- احب قبلاتك
- لانك تحبين التقبيل
- لا انا احب قبلاتك انت تريحني ولا اشبع منها
- لعلك قرات نشيد الانشاد, هل قراتيه؟
- من الذي يتحدث الان
- دعينا نسكت الان
- نعم لنسكت

من الرائع ان يكون لديك الكثير من المال هكذا اخبرني احد اصحاب الشركات عندما كنا نتحدث في مكتبه عن اسباب نجاح البعض واخفاق البعض الاخر بالرغم من اجتهاده ونضاله في العمل

- عندما يكون لديك المال فانت ناجح والعكس صحيح

- وماذا عن السعادة؟ قال وبنفس المنطق ونفس الرؤية والتفكير
- ماذا عن السعادة الامر لايتعلق بالسعادة جمع المال لاعلاقة له بالسعادة انا مثلا اجمع المال لشراء العقارات والسيارات والاستثمار في المشاريع التي يرفضها الاخرون وحسب نصيحة زوجتي التي اتمتع معها بكل مانستطيع الحصول عليه من مباهج ومتع
- ولكن مرة اخرى ماذا عن السعادة؟
- ساقول لك شيئا انا خريج كليه متواضعة لم اكن ذكيا دائما ولم اكن مثقفا ومطلعا كما تعلم لم اشغل نفسي بالتفكير ولكنني كنت جيدا في اقتراح وانشاء المشاريع التي تحقق المزيد من الاموال وكنت راضيا عن نفسي ولم اكن افكر بالسعادة

***

هل كنت تداعب بظرها؟

كان ذلك اول ماورد على لساني حالما توقف ابو مشتاق عن سرد معاناته التي افضى بها الي بعد ان سالته عما اذا كان لديه اولاد ام لا رغم اني كنت اعرف انه بلا ذرية وانه متزوج منذ بضع سنين وانه راجع الاطباء الاختصاصين وتبين سلامته من اي مرض او عائق يحول دول الانجاب وكذلك الامر مع زوجته التي كان يسميها اهله الامر بيدالله سبحانه وتعالى استاذ وانا راضي بحكم الله سبحانه وتعالى

لاادري كيف انتبه ابو مشتاق الى كلامي رغم اني لم اكن اقصد مقاطعته ابدا قال ماذا تقول استاذ لم افهم ماقلت

كنت افكر بالملك الفرنسي لويس الرابع عشر عندما ظن ان عيبا فيه او في امراته الشابة الناضجة يحول دون حملها بوريث بعد بضع سنوات من زواجه بها الى ان ساله طبيبه الخاص هل تداعب بظرها ايها الملك وكان الملك بخلاف ابي مشتاق يعرف بالتاكيد ماهو البظر ومامعنى المداعبة قال الملك لا افعل ذلك انا اقع عليها كلما اشتهيتها او اشتهتني وننجز المهمة خلال دقائق ماعلاقة بظرها بالحمل ايها الطبيب الاحمق قال الطبيب الاحمق ذلك من اسرار النساء يامولاي تحتاج المراة الى المداعبة والملاطفة والغزل الحلو البسيط ومن اهم شروط وواجبات المداعبة ان تلتمس بظرها وتفركه قليلا برقة ولطف وبالكثير من التاني والصبر ولكن بالكثير من العزيمة والاصرار وسيعجبها ذلك كثيرا اوه سيعجبها حتما كان الملك يضاجع بالاضافة الى زوجته الرسميه الكثير من الفتيات الى جانب محظياته الخبيرات بفنون الغزل والجماع وكن يعرفن كل اسرار الحب في السرير خاصة اذا كان السرير سرير الملك ولكن الملك كان يريد زوجته ان تحبل كان يطمح للحصول على وريث ذكر يريده بسرعة وكان يظن انه كلما جامع امراته بسرعة جاء الذكر بسرعة لذلك كان الطبيب يجلس معه ساعات طوال يعلمه فنون مداعبة المراة محاولا اقناعه ان المراة ليست فرسا يركبها الفحل متى ماراد الجماع لاادري لماذا نطقت بذلك السؤال في وجه ابو مشتاق مع علمي بتفاهة وغباء وجهل ابو مشتاق الذي كان يمثل الوجه القبيح للنظام السياسي لم يكن احد يحبه . ويحتقره ويزدريه الجميع وكنا كلنا نخافه ونخشاه بسبب لؤمه ودناءته وحقده وقسوته على الجميع كان يبتز الجميع ويبتكر افظع الطرق في ابتزاز الموقوفين قيل لي انه هو من ابتدع فكرة ان يدفع الموقوف مبلغ عشرة الاف دينار اذا اراد الموقوف ان يقضي حاجته في مرحاض السجن ومبلغا اكبر اذا اراد الاستحمام لقد كان استاذا متمرسا في فن الابتزاز والاستيلاء على مايحصل عليه الموقوفون من اموال ياتي بها ذوهم كل اسبوع او عند كل زيارة كانت حجته ان مرؤوسيه يحصلون على النسبة الاكبر

مما كان يستولي عليه المفوض فلان والمفوض فلان والملازم والنقيب وامر السجن الخ لم تكن لديه اية اخلاق لم يكن يعرف مامعنى الاخلاق فكيف يمكن ان يعرف معنى الامانة والنزاهة ناهيك عن الشرف قال وهو ينتظر ان اعيد عليه سؤالي لكنني تجاهلت ملاحظته وشغلت نفسي بفتح جرار المنضدة لابحث عن شيء ما فما كان منه الا ان اعاد على مسامعي ماكان يريدني ان انتبه له اي قصة عدم انجابه لحد الان بالرغم من مرور هذه السنوات على زواجه وماهي الحكمة في عدم انجابه وحصوله على ذرية وبغباء شديد وبلاهة لايمكن غفرانها صرخت في وجه ابي مشتاق الحليق الناعم باستثناء شاربه الكثيف المقيت

- لعل الحكمة في ذلك بسبب خطاياتك يابا مشتاق وسوء اعمالك مع الناس خاصة معنا نحن الموقوفون وابتزازك وسوء معاملتك لكل واحد منا ولمن سبقنا من الموقوفين والمساجين انها خطاياك وافعالك التي لاتغتفر انها عقوبة ياسيد هل تظن ان الله سيغفر لك او يسامحك على افعالك هذي لا ياسيد انه يعاقبك في الدنيا وسيعاقبك في الاخرة تاكد من ذلك نعم لن يغفر لك ابدا لقد فعلت اشياء لاترضي الرب هل تعتقد ان الصلاة ستشفع لك لقد راياك تصلي وتلتزم باوقات الصلاة ولكننا نعتقد ان صلاتك كانت تمثيل لاغير انك تحاول ان تخدع نفسك قبل ان تخدع الاخرين انك ممثل تدعي شيئا وتفعل شيئا اخر وكل افعالك سيئة وكل نواياك مكشوفة لقد خدعت الاخرين خاصة المقربين منك لاادري اذا كانوا مثلنا يعتقدون انك منافق ومدعي نعم اظنهم كذلك ولكن لانهم مستفيدون منك فانهم سيبقون معك الى النهاية سيتحملون كرهنا لهم وحقدنا عليهم وغضبنا وسخطنا على كل افعالهم التي يقومون بها لارضائك حتى وان كان على حساب امننا وراحتنا انهم تبع لك وامعات يقولون ماتقول ويفعلون اكثر مما تريد وتامر به يطيعونك

في كل شيء ويفعلون من اجلك كل شيء لا ليس من اجلك وحسب بل من اجلهم هم نعم من اجلهم هم لقد ارتضوا فعل السيئات مثل الابتزاز والادعاء والتنمر والتطاول على الاخرين من اجل مصلحتم فقط لانك غضضت النظر عما يفعلون بل ولعلك شجعتهم ايضا الم تقل مرة لماذا لايسرق فلان ولماذا لاياخذ الرشوة لقد عرفنا كل سيئاتك حتى تلك الجريمة او محاولة القتل التي نفذتها مع اشقياء مثلك. انت ايها المسخ الوجه القبيح لهذا النظام الدموي المتسلط

هنا كنت اشعر بالاطمئنان. لماذا كنت اشعر بالراحة؟ هنا لم اعد اخاف من اي شيء هنا كل شيء مختلف لم تتوقف الحياة كما يقولون كنا نمارس ونعيش حياتنا بشكل طبيعي ناكل ونشرب وننام ونستحم ونمارس العادة السرية ونحلم ونحتلم كثيرا ونتشاجر ويصرخ بعضنا على بعض لم نكن نستحي من احد وحتى الخائف والجبان بدا يتجرا على الاخرين كان السجن خليطا عجيبا من البشر لم نكن نعرف تهمة كل واحد كان الجميع يتستر على تهمته ليس خجلا ولكن خوفا من الانتقام او الاستغلال ولكننا وبمرور الوقت عرفنا بعضنا بعضا وبدءنا تدريجيا ويوما بعد يوم وكلما تطورت العلاقة بدانا نبوح بمكامن صدورنا وندلي باسرارنا

دون قصد وهكذا بعد ايام غير طويلة لم تعد هناك اسرار بيننا ولم نعد نسمع عبارة (اكلك ولاتكول) كانت هناك ثمة الفة وود خفي بين الجميع انكشف الجميع على بعضهم البعض ولاسباب شخصتها ورصدتها تدريجيا اختفت وتلاشت الفوارق الطبقية بيننا اصبح الحاصل على شهادة الدكتوراه والمدير العام والحزبي والقاضي يبادرون من تلقاء انفسهم للقيام بالاعمال التي يقوم بها عادة من لايملك الشهادة العليا او المنصب الرفيع لم يكن الجميع في مستوى واحد ولم يصبحوا كذلك ابدا لم يتحول الدكتور المتخصص بالفيزياء الى عامل قمامة او العكس لقد احتفظوا وحافظوا على مستواهم الاجتماعي والعلمي والثقافي لانفسهم وحسب لم يفرضوه على الاخرين بمعنى لم يستغلوا هذه الميزة او تلك لغرض التفوق او التباهي او الاستغلال وجدتهم بعد حين وكانهم قد اعجبتهم هذه الحالة ان يتواضعوا ويتراحموا فيما بينهم كنت احس بسعادتهم عندما يجتمعون لتناول الطعام خاصة الطعام الذي ياتي من الخارج كانوا يستمتعون بالاكل نحب الاكل كنا نقول كانوا يقولون نحن قوم لاناكل حتى نجوع واذا اكلنا لانشبع وكنت اقول دائما ان الاخلاق تظهر غالبا عند الطعام وقد كانت نظرتي ونظريتي عن العراقيين صحيحة تماما عندما كنت اخبر الجميع ان العراقيين طيبون لانهم يحبون الاكل وكنت كثيرا ما اتساءل ترى هل هناك عراقيون نباتيون قال لي احد اصحاب المحال في دمشق العام 2007 انتم العراقيون مجانين حقا قلت لماذا قال انكم تاكلون اللحم كل يوم وتذكرت اخي رحمه الله عندما عثر نهاية الثمانينيات اثناء عودته من العمل على شريط كاسيت في احد الشوارع وعندما وصل الى البيت وقام بتشغيله وجد انه يتضمن رسالة صوتية سجلها احد المواطنين المصريين ممن كانوا يعملون في العراق ابان الحرب العراقية الايرانية كان ينوي ارسالها الى عائلته في مصر يقول في بعضها مشيرا الينا نحن العراقيين : دول بياكلوا لحمة كل يوم . الم اقل لكم اننا طيبون جدا لاننا كنا نرضى

بكل شيء اذا كان هناك لحم في الطعام او لا يوجد لحم في الطعام ولكننا على اية حال كنا نحب اللحم لحم الضان خاصة لان الضان العراقي يختلف تماما عن لحوم اي ضان اخر خاصة لحوم المناطق الباردة التي يبقى شحمها في جسدها بخلاف الضان العراقي الذي يتجمع في ذيلها مكونا مانسميه نحن باللية وكنا ومانزال ناكل كل شيء في الخروف عدا القرون والجلد ولدينا اكلة شهيرة اخترعناها قبل بضعة قرون ندعوها بالباجة وهي عبارة عن راس الخروف واطرافه تطبخ سوية وتوصف غالبا للنحاف وضعيفي الجسم وتؤكل عادة من قبل اصحاب المهن الحرة الشاقة كالحدادين ومصلحي السيارات ومايتعلق بها

قلت لاحمد الشاب الذي كان في منتصف العشرينيات من عمره والذي استدعوه على عجل لمعالجة احد انابيب الماء الذي انفجر فجاة في حمام السجن والذي كاد ان يتسبب بفيضان كبير والذي كان ماهرا جدا في عمله الذي يتقنه كثيرا ويجيده اكثر من اي شخص عرفته سابقا ممن يعملون في التاسيسات الصحية

- لماذا لم تكمل دراستك وتلتحق بالجامعة؟ قال
- الجامعة ليست مناسبة للجميع.

لقد صدمني احمد بهذا الجواب لم استطع الرد فورا احنيت راسي الى الاسفل ودخلت في صمت غريب لم افق منه ولم انتبه اليه الا وانا

ارفع راسي لانظر الى احمد جالسا على سريري وانا جالس على الكرسي الوحيد في غرفتي التي لم اعي ابدا كيف وصلت اليها

- لماذا؟ لاادري لماذا قلت لماذا لااتذكر ماقال احمد لاساله هذا السؤال لكنه قال
- توقفت عن القراءة والرغبة باكمال الدراسة بعد وفاة والدي المفاجئة. وسكت اردت ان اساله عن كيفية وفاة والده لكنه كان مشغولا بعمله ولم ارد ازعاجه لكنه استمر قائلا
- كنا صغارا انا واخوتي وكنا فقراء وفي عوز وضيق شديدين , واضطر ابي الى ان ياخذ جهاز التلفزيون الصغير لبيعه بعد ان لم يبق لدينا شيء لبيعه كنا نبكي من الجوع وكانت امي تبكي لبكائنا ونطمئن كلما رايناها قد وضعت قدرا على النار وبانتظار ان ينضج الطعام كما نعتقد وكما اخبرتنا امي بذلك كنا نغفو وننام لنستيقظ في صباح اليوم التالي وقد نسينا جوعنا لنبدا رحلتنا اليومية مع جوع جديد

كنت ابكي , ولم اعرف كيف اداري دموعي عن احمد , كنت ابكي بحرقة , واغضب على نفسي لانني لا اتذكر انني كنت جائعا يوما او ربما كنت جائعا يوما ما ونسيت ذلك , ظل احمد مشغولا بعمله ولم يلتفت الي حتى بعد ان علا نحيبي وبكائي الصامت , كنت اريده ان يعود الى ابيع واساله , ماذا فعل ابوك وماذا حدث؟ قال وكانه سمع سؤالي.

- لقد مات , قتله احدهم بعد ان تمكن من بيع التلفزيون بشق الانفس وحصل على المال تعرض له احد السفلة وطعنه بسكين في خاصرته واخذ المال وهرب.

لم استطع البكاء بعد , لاني عندما اكون غاضبا لا ابكي, وكانوا يسالونني ايام عاشوراء عن سبب عدم بكائي على مصاب وفاجعة الامام الحسين ؟ فكنت اقول , كيف ابكي وانا غاضب ...( لم يعثر على كنز, هذاماكانوا يرددونه كلما سالتهم عنه, عن ابو البواري , احمد, لكنه لم يعثر على كنز ,

- سيارتان احداهما بي ام دبليو, يارجل , سيارتان ومازال دون الثلاثين ,
- قلت لكنه غير متزوج اي ليس لدية مسؤوليات وامه ماتت وهو صغير واخوته كبروا وتفرقوا واصبح يعيش لوحده اليس كذلك,
- نعم ولكن استاد سيارتان خلال بضع سنوات و.. ابو بواري ارجوك ,
- قال دكتور صفاء لعله ورث شيئا ما,
- قلت مثنيا على كلامه كانه انقذني ,, نعم نعم لعله كما يقول الدكتور .. ورث وقبل ان اكمل صاح بي من كان يجادلني
- رحمه الوالديك ياورث هو هذا شكول ورث ومنين ماعنده احد النوب يورث , ولما لم اجد طائلا من وراء هذا السجال قلت مستسلما انت على حق وكما تقول ) كنت مهتما باحمد ابو البواري كانني لم اكن اريد ان اصدق انه متمكن ولديه سيارتان لادري وربما بيت او عمارة , كنت اريده ان يبقى فقيرا كما تركه ابوه عندما ذهب ليبيع التلفزيون , كنت اريده ان يبقى فقيرا لاحظى بشرف مساعدته , مساعدته باي شيء, كنت اريده ان يبقى فقيرا, كنت احب الفقراء , وكنت اعتقد انني اعرف لماذا جعل الله سبحانه وتعالى بعض البشر فقراء وبعضم اغنياء. كنت احب الفقراء واحب ان تتحسن امورهم ويبتعدون عن الفقر بشكل او باخر, الا احمد ابو البواري لم اكن احب ان اراه غنيا او ميسورا كنت اريده ان يبقى فقيرا كما رايته وعرفته اول مرة . ولم ارى احمد بعد ذلك وكنت اسال الجميع عن حالة الحنفيات والانابيب وسواها وكانوا يستغربون من هذه الاسئلة , شنو الموضوع ؟ لماذا يسال الاستاد عن الحنفيات والانابيب والمجاري ؟ ليش؟ لم اعبأ بهم لاني استمريت بالسؤال اكلكم تره الحنفية مال المرحاض دتخر وداشوف رطوبة يم

انابيب الحمام وجوه المغسلة الخ ... لم يصدقني احد وكانوا ياكدون لي ان كل شيء على مايرام ربما ظنوا انني قد جننت , لم ينتبه احد منهم والحمدلله انني كنت اقصد ان يستدعوا احمد ابو البواري , لم ينتبه احد لهذه الملحة وهذا الاصرار على تعطيل دورة المياه في السجن ,

- شبيه الاستاد وشنو الموضوع ؟, استمر هذا الوضع الى ان سمعت احدهم بعد ان خلد الجميع الى النوم بعد ان تناولوا وجبة طعام دسمة وثقيلة جاءت بها ام وزوجة احد السجناء فاردتهم صرعى قبل ان يغسلوا ايديهم التي كانت تحمل اثار الجريمة التي اقترفوها بحق فخد الطلي وثلاث دجاجات مشويات وكيلوين كباب شوي وخبز ابيض وطرشي وطن زلاطة وسطل لبن رائب , سمعت احدهم يقول
- روح ساعد احمد بالغراض

ولم انتبه سوى لكلمة احمد , ولم افكر, قفزت من السرير وبملابسي الداخلية محاولا الركض لاعرف من هو احمد, واذا بي وجها لوجه مع احمد ابو البواري وقبل ان اقول اي شيء قال

- شلونك استاد مشتاقين حبيت اسلم عليك قالوا لي انك كنت تتحدث عني كثيرا وتود رؤيتي
- اهلا احمد اهلا وسهلا نعم تفضل استريح ,

كنت سعيدا جدا , معقولة احمد امامي ومعي في غرفتي , لا اصدق,قلت وانا احاول ان ارتدي دشداشتي الصيفية البيضاء

- الله بالخير حمودي
- الله بالخير استادي , اسف استاد لازم اروح لغرفة المدير , لقد استدعوني على عجل , وقبل ان ينهي عبارته صاح احد الحراس
- احمد يمعود وين صرت مو المديرراح يرجع ونريدك تخلص قبل مايجي
- تعذرني استاد,امر عليك ان شاء الله من اخلص

- اوكي احمد براحتك , انتظرك

لم اشعر في حياتي كلها بمثل هذا الاحباط قط, ربما مرة او مرتان, ولكن ليس كهذه المرة . بعد ان وقفت على التفاصيل المرعبة التي القاها على مسامعي ابو البواري , صدمت بشدة , وصحوت فجاة على الحقيقة المرعبة , لم اتمكن من استيعابها اول مرة , لقد كنت مصدوما , وغاضبا على احمد وقصته المرعبة اولا, وعلى نفسي لاني تعاطفت معه منذ اول مرة ثانيا.كنت على استعداد لان اغير مبادئي وافكاري ومعتقداتي دفعة واحدة بسبب هذه القصة الفظيعة لم اسمع بمثلها من قبل , امسكت نفسي عن الرد او التعليق وتركته يتحدث عن حقيقته وحقيقة وضعه المادي على مدى نصف ساعة , مؤكدا ومضيفا ومفسرا بين عبارة واخرى ان مايقوله سيقوله لي وحدي وان لا احد غيري يعرف بهذه المعلومات وتركته يتحدث:

- بصراحة ياسيدي, انني عثرت على كنز فعلا .
- كيف يا احمد ؟ ظننت ان من يقول ذلك كان يمزح , كيف ؟وماذا تعني بالضبط انك عثرت على كنز.
- ساشرح لك ذلك, انه ليس سرا , لقد تم نشر الخبر في جميع وسائل الاعلام , الم تسمع به ابدا؟ لقد كنا نحن ابطال الخبر انا وامي واخوتي, امي التي ماتت فجاة بسبب انهيار في الدورة الدموية وكنا انا واخوتي في وضع جيد نسبيا , لقد اخبرتك بوفاة والدي , بعد بضعة اسابيع انتبهت انا وحدي تحسنا في وضعنا المادي او بالاحرى وضعنا الاقتصادي بعد ان قامت امي بمغادرة البيت صباح كل يوم لتعود بعد الظهر او العصر وهي راضية مستبشرة ولكن متعبة ومجهدة لم نكن نعلم اين كانت تذهب كنا نسالها بدون ان يهمنا الجواب اذهب من اجل لقمة العيش من اجلكم طبعا وكان هذا الجواب كافيا لنا لنخرس ونصمت ونسكت عن سؤالها حيث

لم يكن يهمنا ماكانت تفعله امي رغم اننا كنا نهتم كثيرا لحالتها اعني تعبها والارهاق الذي يبدو عليها ولكنها مع ذلك كانت تبدو بصحة جيدة وعادت ممتلئة مرة اخرى لقد بدا كل شيء يتحسن معنا ابتداء بالطعام الذي بدا يتغير تدريجيا وبالملابس التي بدانا نحصل عليها كلما طلبناها تقليدا لما نراه من ابناء جيراننا واصدقائنا وحصلنا على تلفزيون سمارت بشاشة كبيرة واشياء كثيرة اخرى كاجراء عملية الزائدة الدودية لاحد اخوتي لدى طبيب جراح مشهور جدا في بغداد والسماح لي اخيرا بشراء سيارة مستعملة ولكن بحالة جيدة بعد ان اصبحت في سن يسمح لي بالحصول على اجازة قيادة كان وضعنا جيدا ولم يفكرايا منا باكمال دراسته الاكاديمية لم نكن نتكلم عن الجامعة والكلية كانت اهتماماتنا مادية بحته حصل كل واحد منا على مبتغاه واكثر وحتى بعد ان كبرنا قليلا لم نجرؤ على سؤال امنا عن سر هذا التغير في وضعنا المادي الى ان جاء اليوم الذي صدمت فيه عندما جاءني احد اصدقاء المحلة وسالني ان اخرج معه الى المقهى فوافقت وخرجنا بعد ان طلبت من اخوتي اخبار امن بذهابي الى المقهى , وذهبت مع صديقي الى المقهى الذي نلتقي فيه عادة وقبل ان يحضر لنا العامل اقداح الشاي سالني صاحبي :

- احمد, امك شتشتغل ؟
- ماذا تقصد
- قل لي ياخي ماذا تعمل خاله عندما تخرج كل يوم
- ولماذا تريد ان تعرف ها لماذا ؟
- اسمع حمودي , ابويه متاكد تماما مما راه وشاهده
- ماذا راى ؟

- لقد شاهد امك في احد التقاطعات في شارع فلسطين تتسول وتمد يدها الى اصحاب السيارات وكانت تغطي نصف وجهها بالعباءة
- ماذا ماذا تقول.
- صدقني ياحمد هذا ما اخبرنا به ابي امس بعد عودته من العمل
- وكيف تاكد من انها امي
- احمد ابي يعرف خاله كلش زين , اراد ان يمزح معها قبل ان يتعرف عليها فقال لها انطيج خمسة الاف دينار اذا خليتيني اشوف وجهج
- اي
- واسفرت عن وجهها وراها
- اي
- وراته وردت عباءتها فورا وصاحت عزا العزاج تيسير منو؟ ابو خالد؟
- اي ابو خالد , هاي شنو ام احمد , ليش ماكلتي اختي , تعرفين احنه مانقصر وياكم واولادج مثل اولادي واكثر
- فدوه ابو خالد يخليك الاولاد لاتفضحني خويه
- الله كريم اختي

ولم يستطع والدي اكمال الحديث معها بسبب منبهات السيارات التي كانت خلفه فاضطر الى الانطلاق بسرعة, وحال عودته الى البيت اخبر امي وامي نمامة اخبرتني فورا وعندما علم ابي اني عرفت استدعاني وقال

- اسمع بابا بيت ابو احمد عشرة عمر واحنه مثل الاهل انه يعز علي يوصل بيهم الامر الى هذه الدرجة وربما الذنب ذنبنا لاننا ربما لم نقف معهم في محنتهم بعد وفاة والدهم كما يجب واحمد واخوته اخوك اكثر مما هو صديق وربما يعز عليه ان تكون امه في هذا الموقف

- بابا انت شتكول اني حاضر
- كانك ماسمعت حبيبي وصوجي لان خبرت امك الغبية ماصدكت سمعتلها خبراكيد راح تنشره على كل اهل المحلة
- لايابه ان شاء الله ما اجيب طاري لا لاحمد ولا لغير احمد
- عفيه ابني
- لماذا اذن اخبرتني خلاف ماوعدت اباك به
- مو اني انكس من امي ما اتحمل اسمع خبر

يقول احمد لاادري كيف تركت صاحبي وكيف غادرت المقهى ضاقت الدنيا بوجهي , كنت ارتجف , خائفا , غاضبا , لاادري ماذا افعل او اين اذهب اردت ان اشكك في ما قال صاحبي ولكن عقلي كان يؤكد لي صحة الخبر , نعم انه صحيح , صحيح تماما عرفت الان كيف ولماذا تحسن وضعنا المادي بالتسول امي متسولة وبكيت بكيت بحرقة اين اذهب والى من اشكو ليس لي احد ماذا ساقول لاخوتي وهل سيفهم اخوتي مامعنى ان امهم متسولة لقد كنت مشوشا ومضطربا ومازلت ارتجف ذهبت الى المقهى وانا هادیء ومرتاح وعدت خائفا مضطربا لااستطيع التفكير ولماذا افكر هل ابحث عن حل او عن اجابة امك متسولة تعرف شنو يعني متسولة يعني انها تبذل نفسها وكرامتها وماء وجهها للاخرين لليسوه وللمايسوه الحمدلله انني لا اعرف الكثيرين ولايعرفنا الكثيرون ساتكلم معها نعم ساتحدث بكل صراحة ساقول لها لقد فعلت ماوجب عليك فعله دعيني الان انا افعل شيئا لنا ساقبل بعرض ابو مهدي ابو البواري اعمل معه منذ سنوات ومنذ اكثر من سنة عرض محله للبيع بعد ان تقدم بالسن ولم يستطع الاستمرار بالعمل قال لي انت اولى بالمحل خذه انه هبة مني لك ردا على امانتك ونزاهتك واخلاصك لي طيلة عملك معي انت صاحب العمل وكل زبائني يعرفونك ويحبونك بسبب امانتك كان يصر على ذلك وانا ارفض ساقبل الان .

وقبل ان اصل الى بيت ابي مهدي لابلغه بقراري بخصوص عرضه الذي ساقبل به شريطة ان يبقى المحل باسمه او باسم احد اولاده استقبلتني جمهرة من المواطنين في الزقاق الذي يسكن فيه ابو مهدي تتقدمهم سيارة كوستر وعليها تابوت اوقفت احد هم وسالته قال انه الحاج ابومهدي توفي صباح اليوم بنوبية قلبية قلت واين اهله قال في الكوستر وراني ابنه البكر مهدي مد راسه من شباك الكوسترموجها كلامه لي حيث بادرته بتعزيته بوفاة والده رحمه الله

- الله يرحم والديك ساراك بعد انتهاء العزاء

وبعد ثلاثة ايام وبعد ان انتهى العزاء الذي وقفت فيه الى جانب مهدي واخوته واعمامه طيلة ايام العزاء اخبرني مهدي بعد ان غادر اخر المعزين

- احمد , هذه وصية ابي, المحل لك هذه حصتك من ارثه لم يعترض احد منا لا انا ولا اخوتي حاول اعمامي الاعتراض لكنه اسكتهم لانه كبيرهم ولايردون له طلبا , حاولت انا ايضا ان اعترض لكن مهدي اوقفني باشارة من اصبعه السبابة
- حمودي , لايمكن ان ننسى فضلك على ابي ووقوفك معه خاصة بعد ان تقدم به العمر وتكالبت عليه الامراض , نحن راضون بهذا القرار انت تستحقه اكثر منا , نحن تركنا وتخلينا عن ابينا لاسباب عديدة كما تعلم لعل في مقدمتها الدراسة ولكنك وقفت الى جانبه وساعدته وساندته طيلة الوقت لذلك نقول لك جميعا المحل لك وبعد قليل ساحضرلك مفتاح المحل لتباشر عملك باقرب وقت .
- ولكن اين الكنز يا احمد, لايمكن ان يكون في محل ابو مهدي
- لا استاد , الكنز كان في المصرف ساخبرك بالتفاصيل بعد قليل

وفي حوار سريع مع دكتور صفاء الذي جاء قبلي بوقت طويل

- استاد اعتقد انني سانسى كل شيء قريبا واخاف كثيرا من المستقبل لقد اصبحت اكبر بسرعة لماذا كبرنا هكذا وبهذه السرعة ماذا فعلنا لكي نكبر بسرعة انا لا اريد ان اكبرقلت لهم اريد ان اكون مع الاستاذ اريد ان انام في غرفته الصغيرة لا اريد البقاء في القاعة هؤلاء الحشاشة انهم يدخنون بكثرة كانني اجلس في فوهة بركان . كنت احترم

الدكتور صفاء كثيرا ولكني كنت امل واضجر من سقمه المستمر وشكواه من كل شيء وتذمره من كل شيء .

- عزيزي دكتور صفاء لماذا تشغل بالك بهذه الامور حاول ان تاخذ الامور ببساطة على الاقل حتى تنتهي هذه الشده
- هل تظن انها ستنتهي يا استاد انا شيوعي والشيوعي عقوبته الاعدام .
- نعم اعرف واعرف ايضا ان هناك حكمة الهية في كل شيء ارجوك لاترعب نفسك كن مطمئنا انا واثق انك ستخرج وربما ستخرج مبكرا جدا قبل اي واحد منا .
- عزيزي الم تسمع ماقلت لك انا شيوعي والطامة الكبرى انني اعترفت من اول راشدي نسيت كل شيء ولم افكر سوى بالتعذيب الذي كنا نسمع به طيلة السنوات السابقة هل تذكر ناظم كزار واحواض التيزاب لقد كنت افكر في احواض التيزاب ياعزيزي وتعليقي في المروحة السقفية والضرب وخلع الاظافر ناهيك عن عشرات الاهانات والبصاق والجلاليق والراشديات, لقد اجبروا احد رفاقنا على تناول برازه , هل تصدق ذلك ؟ اي نعم لم افكر باحد لابزوجتي ولابابنتي الوحيدة ولا باقاربي ومعارفي واصدقائي خاصة اصدقائي الشيوعيين لا لا لقد فكرت بهم استاد الم اقل لك انني اعترفت عليهم ومن اول راشدي .
- ميخالف لاباس عليك هذا من حقك انت لاتحتمل التعذيب
- لا استاذ الله يخليك لاتجيب طاري التعذيب انا كنت جبانا وتصرفت بشكل حقير لقد كنت في منتهى الخسة والنذالة عندما اعترفت على اصدقائي الشيوعيين لقد كتبت اسماءهم كما هي اي الاسماء الحقيقية قال لي احد النزلاء هنا وبكل صلافة

- طايح الحظ شلون تنطي الاسماء الحقيقية ليش ما كتبت اسماء اخرى حتى يلحكون جماعتك بالفرار فاجابه زميل اخر
- حتى لو كان كاتب اسماء اخرى ليش عبالك صعبة على الامن يعرف الاسماء الحقيقية
- ربما يكون الامر صحيحا اجبت انا محاولا انهاء هذا النقاش الاحادي
- لا استاذ انا كنت جبانا كنت افكر بنفسي فقط ماذا ساقول لباقي الاصدقاء وعوائلهم ماذا ساقول لزوجتي الشيوعية
- يمعود صفاء انت شدتلوص
- ليش استاذ خير ليش اني شكلت
- لاماكو شي بس من الافضل ان تبقى ساكت دكتور الخاطر الله,الم تعلم , لولم تفتح السمكة فمها لما اصطادها احد.

ولم تمض سوى بضعة ايام حتى جاء احدهم يبشرني بخروج الدكتور صفاء وسط دهشة وذهول الجميع وانا من ضمنهم وكلنا كنا نقول

- صدك جذب , يعترف على جماعته ويطلع مامعقوله
- المهم طلع قال احدهم
- لاتنسون دكتور صفاء اعترف وقدم براءة من الحزب الشيوعي .
- نعم هذا هو الصحيح قلت انا مستمرا لقد نجا بنفسه , وشعرت بغصة في حلقي هل انا من يقول ذلك , انا المثقف الذي يحب الثوريين والشيوعيين يحب جيفارا وينادي بالعدالة والثورة على الظلم والطغيان , انا من يقول ذلك ؟

كان الدكتور صفاء استاذا للغة العربية عاد لتدريس المادة في احدى ثانويات بغداد ويقال انه بعد اسابيع قليلة من خروجه من الموقف انتمى الى الحزب الحاكم وانظم الى عدد من التنظيمات الثقافية التي ترعاها الدولة باعتباره شاعر وروائي اصدر وعلى

نفقة الدولة عددا من الدواوين الشعرية ومسرحية قيل عنها لاحقا ان مسروقة عن قص او رواية سوفيتية خمطها الدكتور صفاء قبل سنوات واثناء دراسته في الاتحاد السوفيتي وحولها لاحقا الى رواية نالت بعض الاستحسان وتحولت الى تمثيلية من انتاج تلفزيون العراق , ثم اخبرنا احدهم ان زوجة صفاء قد توفيت فجاة واصدر بمناسبة وفاتها ديوان باسم سيدة التفاحات الاربع قراته في حينه بسرعة ولم يعجبني ثم سمعت ان صفاء قد هاجر الى سوريا واقام في دمشق بضعة سنين ليموت هناك غريبا وحيدا في غرفة بائسة في احدى ازقة دمشق القديمة .

كان كاظم الرجل الطيب دمث الاخلاق المرح اللطيف من اهالي مدينة الكاظمية شمال بغداد كان يزوروني في غرفتي باستمرار ويسعدني وجوده قربي كان مولعا بتقليد الاخرين ولايستثني احدا ابتداء بمدير السجن وانتهاء بالزائرات والزائرين الذين ياتون لزيارة ذويهم كل اسبوع وكنت استمتع جدا بحواري معه عندما اصر على استخدام بعض مفردات اهل الكاظمية مثل انطيليالي وسويليالي وجيبليالي الخ . لم ادخل في حوارات مهمة مع كاظم , كنت اطلب منه

باعتباره احد ابناء مدينة الكاظمية ان يحدثني عن احياء المدينة وعادات اهلها ونشاطاتهم ايام المناسبات الدينية , تعمدت مع كاظم الاكتفاء بالتطرق لهذه المواضيع فقط بعد ان وجدته لايملك اية معلومة مهمة خاصة المعلومات التي تتعلق بتاريخ ورجالات واحداث هذه المدينة العظيمة , اكتفيت بفكاهته التي كنت احتاج اليها احيانا ومرحه وعبثه اللطيف مع الجميع , كان هو من ياتي لتبليغي بوصول وجبة طعام من احدى زوجات او امهات او قريبات احد المساجين وكنت افرح وابتسم عندما اراه

- سلامن عليكم
- وعليكم السلام حبيبي ابو جواد شلونك
- انت شلونك استاد , شو كاعد, استاد استعجل ارجوك تره ربعنا مينطون وجه هسه ينسفون الصينية نسف
- يالله بالعافية ابو جواد خلي ياكلون خطيه
- استاد فدوة الكلبك , كوم بسرعة , كتلهم وهددتهم محد يمد ايده قبل مايجي الاستاد
- اي وشكالوا
- اني عبالي راح يعفطولي ,شو ذوله صدك جروا ايديهم وكعدوا ساكتين كان على رؤوسهم الطير
- حلوه كاظم مال كان على رؤوسهم الطير, يالله لعد توكل على الله

لا اقول انني كنت اشعر بالسعادة في السجن ولكني كنت مرتاحا ومطمئنا لاول مرة في حياتي اصبحت عاطلا عن العمل, ولاول مرة اسمع امراتي تقول لي مشتاقتلك عندما تضم طرفي عباءتها السوداء التي اشترتها عند زيارتنا للنجف قبل سنوات ليظهر من وجهها كله فمها فقط وشفتاها التي لايراها احد الا انا مشتاقتلك هذه كانت تبقى معي كانفاس القبلة الاولى حتى الزيارة القادمة , لم تتخلف زوجتي عن زيارتي ابدا حتى عندما تعلم ان احدا اخر من اصدقائي او اقاربي سيكون في زيارتي الاسبوع القادم فانها

تحرص على المجي ء الى موعد الزيارة وتبقى تنتظر بعيدا وخلف احدى السيارات لكي لايراها احد واذا جاءت ورات احد اصدقائي تتوارى عن الانظار الى حين انتهاء موعد الزيارة تبقى جالسة على بلوكة لوحدها او مع احدى الزائرات تشكو احداهن للاخرى لوعاتها ومصاباتها وعذاباتها وكانما تتعمد كلاهما تعذيب الاخرى بالمزيد من البكاء والنواح والصراخ المكتوم وفيضانات الدموع والمخاط السائل وغير السائل . كنت اعرف كل ذلك حالما تتمكن من زيارتي لوحدها , كنت اتركها تسرد علي عشرات القصص وكنت امنعها لانها كانت حالما تبدأ بسرد القصة تنهمر دموعها ويكفهر وجهها وترجف شفتاها وتبدا في نحيب طويل بعد ان تخفي راسها بل كلها تحت عباءتها السوداء التي اشترتها من النجف الاشرف والتي خصصتها في حينه للمناسبات كما تقول.

لم ارى مثقفا مثل عبدالحميد الذي تعرفت عليه في الغرفة المخصصة لاستقبال الزوار عندما كان ياتي وبشكل منتظم لزيارة احد اصدقائه الشيوعيين رغم انه لم يكن شيوعيا ولكنه كان مثقفا من الطراز الاول وكنت اظنه في البداية شيوعيا لاني وبحكم التجربة كنت اعرف هذا النوع من المثقفين يحدثك عن كل شيء الا الشيوعية عرفت عددا لاباس به منهم كانوا يقرؤون كل شيء واي شيء انهم ماكنة قراءة ولاتخلو بيوتهم من مكتبة ناهيك عن كتاب او مجلة اوصحيفة كنت اختار انا وزوجتي احدى زوايا الغرفة المخصصة

للزيارة لنكون بعيدين قليلا عن حوارات وصخب الاخرين الذين يملؤون الغرفة بانفاسهم واحاديثهم ومزاحهم او غضبهم لانها لم تاتي له هذه المرة بجدر الدولمة كان اللقاء الاول بعد شهر من دخولي السجن واستقبلتها وسط الغرفة وندمت حينذاك ورايتها حزينة مهضومة متبرمة لانها لم تتمكن من ايصال صوتها الي او ان تسمع ما اقول كنا نتكلم بهدوء ونسكت كثيرا قلت لاطمئنها المرة القادمة ساحجز مكانا لنا في الزاوية البعيدة والتفت لاريها الزاوية المقصودة وهناك وقع نظري عليه لا ادري لماذا اثار انتباهي كان يتحدث مع صديقه بصوت عال وبلهجة قوية وحاسمة ويداه تتناغمان مع كل كلمة يقولها لم اكن اسمع مايقول ولكنه اثار انتباهي قالت

ـليش شبيها الزاوية

ـ واستحيت ان اقول لها انها هادئة لانها انتبهت ايضا الى عبدالحميد بصوته الجهوري الواضح وحركات يديه اللتين تجذبان الانتباه

ـ ساحجز لنا مكانا هناك حالما يدعوننا الى الغرفة سانتظرك هناك وسنتحدث كما نشاء بدون اية ضوضاء

ـ خوش , احضرت لك خبز الشعير كما طلبت اشتريته بعد خروجي من البيت , مازال دافئا وفجلا احمرا وكمية جيدة من الخضروات الكرفس والبقدونس والكراث والنعناع, نسيت ان اخبرك لقد ارسلت لي امي واخواتي الثلاث مبلغا كبيرا من المال وبعض المؤونة نستعين بها حتى موعد الحصة التموينية احضرت لك نصف المبلغ

ـ حبيبتي انا لااحتاج الى المال هنا , لااحتاجه ابدا , وتعرفيني جيدا انا لا استطيع ابقاء المال معي انهم سيصادرونه ويخمطونه بوسائلهم الشريرة واساليبهم اللئيمة , احتفظي بالمال عندك , انتم بحاجة اليه اكثر مني .

ـ ولكن

ـ انتم بحاجة اليه اكثر مني , في المرة القادمة احضري بعض الادوية والمسكنات , الشتاء سياتي قريبا , وتعرفين انني لا احتمل برد الشتاء, الادوية ستكون كافية .

- ادوية فقط , متريد شي اخر؟
- سلامتج, ربما بعض المجلات الحديثة وكتاب من مكتبتي على ذوقك
- ان شاء الله ,

لم ننتبه الى الوقت عندما صاحوا بنا

- انتهى الوقت .

وجاءت رودود الافعال سريعا خاصة من الازواج الذين كانوا في اندماج كامل وسريع حيث التنهدات والتاوهات والاسئلة السخيفة والايماءات والاشارات والتعبيرات غير البريئة التي كان الحرس يراقبونها بكل شغف واهتمام:

- يمعودين شبلعجل ماصار نص ساعة شبساع خلص الوقت

نعم خلص الوقت بسرعة على عشاق السجن وغادرت النسوة المتشحات بالسواد دائما مهمومات متحسرات غاضبات ولكن راضيات ربما على ماجئن به لازواجهن من انواع وصنوف الطعام الذي كان هو الطلب الاوحد والاسمى من بين جميع الطلبات . كان عبدالحميد كما لاحظت اول القائمين حال سماعه الصوت الذي بين انتهاء موعد الزيارة التفت الى حيث يجلس بعد ان انتبهت الى نظرات زوجتي التى تابعت قيامه ومصافحته لصديقه موسى الذي كان احد اقدم النزلاء في السجن سالت وهي ماتزال تنظر الى عبدالحميد

- هل هو اخوه تقصد هل عبدالحميد اخ دكتور موسى
- لا انهما صديقان وحسب
- معقولة صار اكثر من مرة اشوفه
- لايزور موسى الا صديقه عبدالحميد وعبدالحميد لايزور الا صديقه موسى
- عجيبة
- سترين العجب بين الاصدقاء مابك لماذا مازلت تحدقين بهما ماالامر
- لاحظت انهما ينظران الينا اكثر من مرة واليك خاصة

- ربما حدثه دكتور موسى عني
- يجوز
- اسمعي لاتجبري نفسك على المجيء في كل مرة اذا كنت متعبة او غير راغبة مثلا
- مستحيل
- يعني اقول لك ذلك لاني فعلا سوف لن اشعر بالحرج او الامتعاض عند عدم زيارتك لا اريدك ان تتعبي ثم لاتكلفي نفسك كثيرا باعداد الطعام والتسوق من اجلي دعينا نكتفي بالاشياء التي اطلبها منك فقط
- وانت لاتطلب شيئا حبيبي
- وهل تلبين كل طلباتي قلتها بخبث وانتبهت
- عدا تلك التي في بالك تعرفني جيدا لا استطيع لا استطيع حتى التفكير بها لا لا مستحيل ارجوك
- ولكنك تفكرين بها اليس كذلك في طريق العودة وعندما تصلين وعندما تذهبين الى السرير تفكرين بها وتفكرين بها بجد وبقوة واكثر من مرة على اية حال انا لا استطيع اجبارك او الضغط عليك ولكن اقول لك ان الجماعة بدؤا ينتبهون الى انني الوحيد الذي لايستقبل زوجته كما يفعلون الم اخبرك في كل مرة من الذي استقبل زوجته هذا الاسبوع ام تلاحظي كيف انهم ينظرون اليك بغضب وينظرون الي بعطف
- وشمدريهم هم ليش انته كتلهم وليش
- هم يعرفون دون ان يخبرهم احد بذلك واضح جدا لديهم بل للسجن كله من هو الذي يستقبل زوجته ومن لايستقبل زوجته لايحتاج الامر لاخبارهم نعم هم يسالون ويتساءلون فيما بينهم في اكثر الاحايين ومعي مرة او مرتين ولم اخبرهم بالحقيقة ان امراتي تستحي وتخجل حتى من التفكير في الامر فكيف بتنفيذه اذن

- جبتلك شيخ محشي بقدر صغيرة وطرشي مدبس وشطه وبصل اخضر
- ممنون رحم الله والديج
- حبيبي ومازال عبدالحميد يلتفت اليك
- قلت لك ان الدكتور موسى مغرم بي ولعله يخبره باشياء كثيرة عني الم اخبرك اننا انا والدكتور موسى كثيرا مادخلنا في نقاشات ادبية وبحثية على مدى الاشهر الماضية و
- انه شيوعي اليس كذلك
- نعم شيوعي و
- وعبدالحميد
- ما اعتقد علمت انه كان خبير في وزارة النفط
- الشيخ محشي قليل لاتنطيه كله يادوب يكفيك وربما شخص اخر
- من برايك؟
- ابو حيدر
- كاظم؟ لماذا كاظم؟ حسنا كانك في قلبي سناكله انا وكاظم
- اول مرة شوف مرته شجايبتله؟ اكيد مركة شجر
- اكيد , كيف حال البيت؟
- كما هو بقي على حاله كما تركته اخر مرة لا افعل سوى التنظيف
- لماذا؟ لماذا لاتغيرين الديكور كما كنا نفعل سابقا
- كما كنت تفعل انت عندما كنت تتركنا نائمين وتقوم وحدك بتغيير الاثاث كما يحلو لك ليس لي ذوقك كما تعلم
- ولكن ذوقك افضل
- ابدا ذوقك دائما هو الافض
- هل تعلمين لماذا
- لماذا
- لانني اخترتك

- اعتقد اننا سبق وان اجرينا مثل هذه المحاورة قبل سنوات عندما كنت جميلة الى حد ما وكان يسرك النظر الي عندما كنت ممتلئة وصدري عامر ومؤخرتي كما تسميها ترد الروح
- وحتى بعد ان ذهب كل ذلك بسبب السكري مازلت يعجبني النظر اليك بل والتمتع بك , وقبل ان انهي عبارتي سمعت جاري يقول وبصوت لافت
- يطبج مرض , ماانت الا ثقوب وصدر

كان ذلك الاستاذ خليل احد زملائنا في القاعة لم اكن اتحدث معه كثيرا كان الجميع يتحاشى الحديث معه ويطلقون عليه اسما لم احفظه ولا اتذكره الان ولكني لم اره مع احد فلما اصبح وحده وقريبا مني بعد ان رحلت زوجته وانتهى تقريبا الحوار بيني وبين زوجتي اشرت لها بان تذهب فقامت على الفور مسلمة مودعة مع ملاحظة سريعة وخاطفة

- الشيخ محشي

قلت على السريع نعم نعم على بالي

- لاتنساه

بعد ان رحلت اخيرا التفت الى الاستاذ خليل الذي لايزال جالسا في مكانه متذمرا متبرما ساخطا وقلت وانا اصنع ابتسامة عريضة وبوجه بشوش

- استاذ خليل
- نعم
- هل تسمح لي بالجلوس معك قليلا مادام هناك بعض الوقت قال وكان ماء بارد نزل عليه
- نعم نعم استاذ بكل سرور ارجوك يشرفني ذلك بل يسعدني ارجوك تفضل ونهضت من مكاني عندما بقي خليل يمطرني بوابل من عبارات الثناء والسرور وقد انقلبت اساريره التي كانت مكفهرة متجهمة الى اسارير مرح وبهجة وسرور قلت وانا احاول الجلوس بكل حذر وتان

- لماذا لم يسبق لنا الحديث او حتى اللقاء قال ضاحكا وكانه يرد على تساؤلي
- لعلنا كنا مشغولين طيلة الوقت

وكانت مزحة لطيفة وفي محلها اذ من المعروف ان السجناء والموقوفين لايفعلون شيئا في العادة انهم اما نائمون او يلعبون النرد او الدومنة او ياكلون ويثرثرون ويتشاجرون او يشاهدون التلفزيون في اوقات معينة وهذا كل ماكانوا يفعلونه قلت ضاحكا ومؤيدا لكلامه

- صدقت ربما كنا مشغولين انا بالقراءة والكتابة وانت وقاطعني ضاحكا
- لاشيء وعلى صوته بالقهقهة وكان هذا الجواب اعجبه فضل يقهقه طويلامع محاولته اخفات صوته تدريجيا
- اعرف اننا اتفقنا على عدم السؤال عن تهمة الاخرين ولكن
- الاختلاس كنت مديرا في احدى منشات التصنيع العسكري واتهمت بالاختلاس وسالته وانا انظر اليه كمن يريد التاكد من اصل التهمة
- وهل
- نعم نعم التهمة صحيحة ولا انكرها
- ولكن لماذا لماذا ياخليل لماذا
- كان الامر مغريا
- ولكن انا اعرف ان اجوركم ورواتبكم ممتازة وربما اعلى من رواتب واجور باقي موظفي الدولة
- نعم ولكن معي لم يكن الامر عن حاجة ولاطمع ولكن من باب التجربة وربما الغيرة او ركوب الموجه
- لم افهم
- انهم على وشك الاعلان عن انتهاء الزيارة هل تسمح لي بالمجيء الى غرفتك لتكملة حديثنا هذا
- نعم بالتاكيد هذا طبعا اذا كنت راغبا بمواصلة الحديث

- هل تعلم انني ومنذ اتهامي وطردي من المنشاة والقائي بالسجن لم اتحدث عن هذا الموضوع قط ساتي اليك حتما ليس بالضرورة الان وبعد الانتهاء من الزيارة ولكن لاحقا ربما
- ساكون بانتظارك استاذ خليل

- انا متاكد تماما انك تعرف ايغور سترافنسكي ولعلك استمعت ولاكثر من مرة الى موسيقى عصفور النار اليس كذلك , وقبل ان اجيبه استمر متحدثا قبل ان يمد يده للمصافحة
- ولكنك لم تسمع بموسيقاه الرائعة التي اثارت ضجة عند عزفها اول مرة في باريس
- طقوس الربيع قلت وانا في حالة زهو وانتعاش متفوقا هذه المرة على الاستاذ عبدالحميد الذي كان من عادته ان يدخل عليك اويستقبلك بخبر او حديث او بيت شعر او بداية حكاية عن شخص ما اوحدث ما وبطريقة تمنعك من التعليق او الاجابة لم يكن ثرثارا ولكن متحدثا لبقا وساردا للحكايات والقصص

التي نعجب كيف انه يحفظ الاسماء والتواريخ بشكل مذهل كنت معجبا به ايما اعجاب ليس لحافظته وقوة ذاكرته وحسب ولكن لاسلوبه وطريقة عرضه للقصة او الحدث وقد كان من طبيعته ان لايتوقف عن الحديث حتى وان اوشك على الوصول الى نهاية القصة او الحدث حيث يقوم وبطريقة بارعة ولبقة في الانتقال الى حدث اخر وقصة اخرى كان قد تعرض اليها خلال حديثه الاول وكان هذا الانتقال يثير حماس السامع اذا كان المستمع منتبها ومتابعا للسرد فانه سيسر فعلا بانتقال الاستاذ عبدالحميد الى هذا الموضوع الذي اردت ان اسال عنه خلال حديثه الاول

لم اسمع سوى صوت ابو مشتاق يصرخ بغضب
- لك قندره ,
والقندرة كما تبين لاحقا هو المنتسب محسن الذي كان مولعا بالاستماع الى فيديوهات التيك توك واليوتيوب كان جالسا على احدى درجات السلم الذي يؤدي الى الطابق الثاني حيث مكتب المدير والمكاتب الاخرى ولان محسن كان ينسى نفسه احيانا وينساق في موجة من الضحك العالي عندما يكون مندمجا مع احد الفديوهات المضحكة حيث جازف في احدى المرات كما يروي المنتسبون هذه الواقعة واستغرق في الضحك العالي مما ازعج مدير الموقف وغضب كثيرا لانه كان يستضيف احد المسؤولين

في مكتبه فامر بوضعه في السجن الانفرادي لمدة شهر ومصادرة الموبايل وحرمانه من اية امتيازات والكتابة الى الوزارة لالغاء تعيينه وطرده من الملاك الخ ولكن بعد ايام ولان محسن كما تبين لاحقا كان من اقرباء المدير او بالاحرى من اقرباء زوجة المدير التي ساعدته اي زوجها بالحصول على منصبه هذا فقد قام زملاء محسن بالاتصال باحد ابناء المدير الذي اخبر امه بما جرى لمحسن فقامت هي كما يبدو باصدار الاوامر لزوجها باطلاق سراح محسن واعادته الى موقعه السابق والغاء كافة الاجراءات المتخذة او التي ستتخذ بحقه واعتبار الموضوع منتهيا

عندما جاءني احد النزلاء يسال عن زميلهم عبدالرضا قلت له على الفور انه كالعادة في الحمام اليس هو دائما في الحمام قال بحثنا عنه هناك ولم نجده اين ذهب اذن قلت قال والله استاد ما ادري دوخنا عبدالرضا

- شبيه عبدالرضا شتريدون منه

كان عبدالرضا هو المتحدث عندما اطل براسه خلف زميله الشاب محاولا رفع جزء من المنشفة التي غطى بها راسه تماما قال الشاب

- اين كنت

- قال عبد الرضا في العزا في الصخام غير بالحمام وين اروح يعني هو هذا المهجوم يقصد الموقف شبيه غير الحمام والخلاء يقصد المرحاض
- قال الشاب مرتك جايه عليك تريدك
- قال عبدالرضا شعدها شبيها شتريد مني
- شمدريني اني اجاب الشاب واستدار محاولا الذهاب قبل ان يوقفه عبدالرضا ويساله بجدية بالغة
- هل جاءت وحدها
- قال اي وحدها مثل كل مرة وافلت قميصه من قبضة عبدالرضا وغادر, سالت عبدالرضا
- خير خو ماكو شي قال
- بت الكلب متقبل تجي تزورني الحقيرة الكلبه العاهرة وكنت اعلم ان المقصود هي ابنته شيماء التي كان يسبها طوال الوقت ويلعنها قائما قاعدا وكان الزملاء يهونون عليه الامر بانها ربما تكون مشغولة او مريضة وكان جوابه دائما
- لا يابه لا اكلكم حقيرة وبت كلب كلبه بت ستطعش كلب بت الزفره
- قلت لعبدالرضا بعد ان ذهب الشاب لاباس اذهب الى امراتك وانظر ماذا تريد انه ليس موعد الزيارة الرسمي ربما كان هناك امر مهم وجدت ان عليك ان تعلم به اذهب ياخي وقل خيرا ان شاء الله

كان عبدالرضا رجلا طيبا يعمل في امانة بغداد بوظيفة بسيطة وباجر بسيط ولم يكن يتحدث في السياسة او في الدين بل لم يكن يتحدث في اي موضوع كان قليل الكلام قليل الاصدقاء لم يكن يزوره احد باستثناء زوجته التي اضطرت بعد عدة زيارات ان تخبره بالحقيقة الصادمة وهي التي جعلته يجن ويطلق لسانه بالشتائم والسباب ويصرخ بوجوه الاخرين ويجلس او يتكلم مع اي احد ورفض زيارة زوجته له التي اتهمها بشرفها هي وابنته

شيماء التي اعلن صراحة في نفس اليوم الذي اخبرته الخبر المشؤوم زوجته بان بنتهما شيماء هي التي وشت به لدى الجهات الامنية واخبرتهم ان اباها ينتمي الى حزب الدعوة المحظور والقاء القبض عليه في عمله بعد ساعة واحدة من بدء الدوام في السنة الاولى من الحرب بين العراق وايران وبقي مرميا في السجن رافضا كل محاولات اقاربه ومعارفه وبعض اصدقائه من التوسط لدى الجهات الرسمية العليا للعفو عنه بعد ان علموا بان ابنته قامت بفعلها هذا بعد ان علم بشكل مؤكد انها قد فقدت عذريتها مع احد ابناء المحلة الذي كانت تواعده سرا لعدة اشهر وقيل انها حملت منه او من غيره وانها اسقطت الجنين بعد ان سافرت الى احدى المحافظات لتبقى هناك بضعة اسابيع بحجة زيارة اقارب امها.

- استاد رحمه الوالديك ماعندك فد باندوله,

وكنت اعلم انها ليست له, انها لاحدهم, احيانا ولكثرة طلباتهم يخجلون ان ياتوا بانفسهم لطلب شيء ما فيرسلون اصغرهم جعفوري وجعفوري هو الطف وارق واعذب واصدق وانبل النزلاء قاطبة كان سريع الخاطر سريع الاستجابة يتصرف بسرعة وبدون تفكير ملبيا حاجات وطلبات الاخرين قبل ان يبادروا الى طلبها خاصة كبار السن الذين يواجهون صعوبة كبيرة عند القيام من على الارض والجلوس والنوم كله على الارض كان جعفر ينام وسط اكبر النزلاء سنا خوفا عليه ربما من المتحرشين او

المتنمرين ولكن الحجة كانت دائما انهم اي كبار السن الاكثر احتياجا لجعفر الذي ظل يذكرني بيوسفاكي احد شخوص رواية المسيح يصلب من جديد للروائي اليوناني نيكوس كازنتزاكس مؤلف رواية زوربا التي تحولت الى فيلم من بطولة انتوني كوين ورواية الاخوة الاعداء وكنت كلما تذكرت يوسفاكي سجلت في ملاحظاتي اشارة الى تذكير زوجتي باحضار الرواية من مكتبتي لاعادة قراءتها بعد ان مضى وقت طويل على قراءتها اخر مرة

وكنت احظى بالكثير من الزيارات من الاهل والاقارب والاصدقاء بل من اناس واشخاص لم اكن اعرفهم ولم اسمع بهم ولكنهم لاسباب عديدة كانوا يتعاطفون معي ويرغبون برؤيتي وزيارتي اتذكر احدهم كان صديقا لاحد اصدقائي المقربين علم عن طريقه اني اكتب الشعر وباشرت قبل اشهر بكتابة اول كتاب لي بعنوان يوميات عنكبوت الذي غيرته لاحقا وبناء على نصيحة وراي احد الاصدقاء الى (الخروج من الجحيم), كان صديق صديقي روائيا معروفا في العراق رغم اني لم اسمع به قبل ذلك ربما لاني توقفت عن القراءة للعراقيين منذ عدة سنوات طلب هذا الصديق ان ارسل له

مسودة هذا الكتاب ليطلع عليه ويبدي رايه الى جانب اراء الكثيرين ممن اطلعوا عليه خلال الاسابيع الماضية وارسلت اليه المسودة التي كنت احتفظ بها على اللابتوب بعد ان توقفت من الاضافة عليها واكتفيت بالتعديل اللغوي فقط لاني رغبت بالبدء بكتاب ثاني اطلقت عليه اسم (حوارات الرمل والماء) مخططا ومصمما على المباشرة بالكتاب الثالث حال الانتهاء من كتاب الحوارات باسم (كل تلك الوحدة )

قال لي الاستاذ مرتضى بعد ان دخل علي فجاة لو خيرت المراة بين الذكاء والجمال لاختارت قلت على الفور

- لاختارت الجمال
- قال كلما دخلت عليك وجدتك تقرا قلت
- كلما دخل زكريا عليها المحراب وجدعندها رزقا وهذا رزق يا صديقي

واخيرا مرضت بسبب فيروس لعين صحا من غفوته حالما حل شهر شباط البارد الممطر وعادني في مرضي هذا جميع النزلاء كانوا يتوقفون لدى الباب لاني خفت عليهم العدوى وكانوا يودون الدخول والانحناء فوقي وتقبيلي كعادة كل العراقيين عند زيارتهم للمريض سواء في البيت او في المستشفى وبخلاف عادات كل شعوب العالم الذين يعودون مرضاهم ايا كان نوع المرض وهو يحملون باقة ورد طبيعية يشترونها من محلات خاصة ببيع الزهور الطبيعية الا العراقيين الذين خالفوا كل شعوب العالم باصرارهم على حمل الطعام الى غرفة المريض الذين يعتبرون زيارته واجبا مهما ومقدسا

ولايجوز التغاضي عنه مثلما لايتغاضون او يترددون في حضور مجالس العزاء التي كانت تستمر من ثلاث الى سبعة ايام تبعا لاهمية المتوفى او عشيرته او منصبه الخ ومن عاداتهم عند زيارة اهل المتوفى ان يحملوا لهم بعض المواد العينية التي تدخل في طبخ واعداد طعام العزاء مثل الذبائح والارز والزيت وغيرها ومن عادات العراقيين التي ربما يشتركون مع قليل من الشعوب بها هي عادة التقبيل على الوجنتين الخد الايمن والخد الايسر ثم الخد الايمن اي عادة التقبيل الثلاثية التي لم ينج منها الا القليل بعد اشهر من هجوم جائحة فايروس كورونا الذي اجتاح العالم ومن ضمنه العراق اواخر العام 2019 واوائل العام 2020 ولم يستطع العالم من السيطرة عليها لحد الان حيث تشير الاحصاءات حتى كتابة هذه السطور الى تجاوز الاصابات ال 525 مليون اصابة والوفيات اكثر من ستة ملايين والله يستر علينا وعلى امة محمد والبشرية اجمع اتحدث هنا عن العراقيين وعاداتهم التي يختلفون بها عن بقية البشر ولكن العالم ايضا اضطر واجبر خلال هذه الجائحة على تغيير عادته بحكم اتخاذ حكومات دول العالم مجتمعة او مفردة وفقا لمستجدات الفايروس وتاثيراته على هذه الدولة او تلك وكان من قرارات دول العالم الصائبة هو قرار الاغلاق التام الذي استمر لفترة طويلة تغيرت خلالها الكثير من مظاهر العالم حيث توقف ذوبان الجليد عند القطبين وعادت الحيتان الى الظهور مرة اخرى والغابات استعادت عافيتها الخ من المظاهر التي اشار اليها ديفيد اتنبوره في تقريره الرائع في الفيلم الوثائقي المريح عندما توقفت الحياة

**قبل ان افقد الذاكرة وبوقت طويل كتبت لزوجتي عن كل شيء في تقرير طويل بعدة مئات من الصفحات تركتها في مكان ما في اللابتوب الذي كان معي في السجن اردتها ان تعرف عني كل شيء لم اخفي عنها شيئا منذ زواجنا قبل خمسة عقود ولكنني كنت اتذكر دائما اشياء لم تكن تعرف بها ولم اخبرها بها قط لم تكن اسرارا ولكنها كانت معلومات عني لم اشا ازعاجها بها طيلة وجودها معي**

**Here I am**

**كنت اقولها كلما دخلت عليهم قاعتهم الكبيرة , وفي كل مرة كان يرد علي واحد فقط هوالاستاذ مهدي الاستاذ في احدى الجامعات العراقية قائلا**

**An old man in dry months**

**وفي كل مرة كنت اتوقف عنده وامنعه من القيام لاستقبالي حيث يساعدني على الجلوس على فراشه النظيف كنت احب الجلوس معه لسببين الاول نظافته ونظافة المكان المخصص له كان فراشه نظيفا تماما الملاءات بما فيها ملاءة المخدة تفوح منها رائحة مسحوق**

الغسيل الى جانب العطر المخصص للغسالات الكهربائية كانت زوجته تاتي له بالملاءات الجديدة التي استلمتها منه في الزيارة السابقة الى جانب مايحتاجه من ادوات الاكل كالصحون والملاعق والسكين الخ اخبرني انه خريج انكلترا وعاش فترة غير قصيرة هناك يقول تطبعت بعادات الانكليز فيما يتعلق بالنظافة والترتيب والنظام لم يكن فوضويا كبقية النزلاء كل شيء معه كان مرتبا ونظيفا ورائحته زكية عطرة وكان قنوعا وغير متبطر لايطلب شيئا من احد كما يفعل الكثيرون منا يتلذذون ويتمتعون بطلب الاشياء سالته مرة عندي كذا وكذا هل اتيك به قال اشكرك انا عندما احتاج الى اي شيء اخبر به زوجتي لتاتيني به في زيارتها القادمة وعلمت ايضا انه كان يطلب من زوجته اشياء ومواد ليست له ولكن للزملاء الاخرين عندما يراهم يطلبون شيئا ما ولايجدونه عند الاخرين حيث كان يفاجؤهم بما يحتاجونه واصبحوا يحترمونه ويحبونه اكثر واكثر وكنت كلما جلست اليه لانتحدث الا في الشعر والشعراء الانكليز خاصة وفي مقدمتهم الشاعر توماس ستيرنز اليوت الذي فاجئي عندما بدا يلقي علي مقاطع طويلة من اشهر قصائد اليوت مثل اغنية حب الى برفروك والرجال الفارغون والارض اليباب كانت لديه اكثر من حقيبة واحدة كبيرة جدا استلمها بعد ايام من اعتقاله وضعت له فيها زوجته وابنته كل مايحتاجه من مقتنياته الشخصية وعددا من الحقائب الصغيرة كالتي يستعملها الرياضيون كانت امراته تاتي بها له في كل زيارة ولايعيدها اليها فتجمع لديه عدد لاباس منها وكان لايبخل على الجميع بما تاتيه به زوجته من طعام وحلويات وفواكه كان يوزعها على الجميع ولايحتفظ بشيء منها وحسنا يفعل ذلك لان عددا من الموقوفين لم يكن ياتي لزيارته اي احد من ذويهم لم يحكي لي مهدي قصة اعتقاله ولم اساله عن ذلك ابدا ويبدو ان كل واحد منا قد اتخذ قرارا في نفسه ان لايسال الاخرين هذا السؤال مقابل الا يساله الاخرون ايضا ويبدو ان الجميع قد احترموا قرارهم هذا, كنت اسال الاستاذ مهدي عن سبب عدم زيارته لي في غرفتي قال لاننا نعرف انك مشغول بالكتابة

دائما ولانريد ازعاجك البقاء في غرفتك لوحدك نعمة لانريد ان نفسدها عليك وانا بل نحن جميعا يسرنا ويسعدنا زيارتك لنا بين الحين والاخر وقد اتفقنا جميعا على استقبالك والترحيب بك والعمل على الترفيه عنك قدر الامكان وامتاعك بما نمتلك من مواهب وقدرات وانا شخصيا فخوربك وسعيد بمعرفتك ويسرني جدا لو تعلم ان نكون معا دائما

لم اكن اعتقد ابدا انه مازال هناك في هذا العصر الذي شهد ولادة النت والاختراعات الالكترونية وغيرها من لايستطيع القراءة والكتابة خاصة بعد حملة محو الامية التي شهدها العراق منتصف السبعينيات التي قضت تماما تقريبا على الامية بشهادة اليونسكو التي اعلنت في وقت لاحق خلو العراق من الامية تماما ورغم اننا لم نصدق هذا الخبر في حينه الا اننا بدانا بتصديقه والقبول به عندما لم نلتق وعلى مدى سنوات طويلة ممن يقول انه لايقرا ولايكتب وبقي هذا الاعتقاد قائما عندي الى جاءني احد النزلاء يسالني ان اكتب له رسالة الى عائلته بعد ان رفض بقية النزلاء مساعدته ورحبت به لاني كنت طيبا

واحب مساعدة الاخرين سالت محسن عما يريد ان يقول في الرسالة

- قال بكيفك استاد
- قلت يامحسن انها رسالتك التي تريد ان تصل الى اهلك ماذا تريدني ان اكتب فيها
- قال لقد اخبرتني زوجتي في اخر زيارة انها ستلد بعد شهر وها قد انقضى الشهر ولم ياتني خبر منها
- ـ قلت ولكنك هنا قبلي يامحسن قبلي بكثير وانا قد مضى علي اكثر من سنة فكيف
- ـ قال انت تعلم استاد اننا نستقبل زوجاتنا في الغرفة البيضاء الم تعلم بذلك لقد توقفت عن استقبالها في الغرفة البيضاء بعد ان دخلت في شهرها الرابع واصبح من الصعب النوم معها وتذكرت انهم صنعوا في القاعة الكبيرة التي تضم اكثر من ثلاثين موقوفا وفي احدى زواياها البعيدة عن الباب غرفة من الستائر والملاءات وفرشوها بما جلبته لهم نساؤهم واسموها الغرفة البيضاء *(لان احدهم كان يعمل في منشاة صدام لانتاج المدافع وكانت لديهم مايسمى بالغرفة البيضاء يتم فيها صناعة عدسات النواظير المستخدمة في المدافع حيث الغرفة في اعلى مستويات النظافة, اي خالية تماما من الغبار و فيها اجهزة تكييف خاصة وأجهزة جمع غبار كهروستاتيكية و العمال يدخلوها بعد ارتداء ملابس خاصة و تعتمد مبدأ التكييف الأرضي بدلا من الهواء* ) يستقبلون فيها زوجاتهم لغرض الجماع حيث يقوم السجين الذي ينتظر زوجته بابلاغ رفاقه بان اليوم هو يوم دخلته حيث يقوم رفاقه بمغادرة القاعة الى الباحة الخاصة بالتنزه يلتقون فيها مع زوارهم ليتركوا رفيقهم يستمتع بزوجته لم نكن نرى الزوجات بعد ان ينتهين من هذه المهمة كن يقمن بالمغادرة فورا وقبل انتهاء وقت الزيارة فيما يبقى اكثر الرجال ممددين او نائمين الى ان نعود اليهم لنجد بعضهم قد ذهب في نوم عميق وشخيره يملا القاعة لنعلم بعد ذلك اننا سنحظى اخيرا ببعض الراحة والسكون بعد ان افرغ الرجال قلقهم

وغضبهم عبر تفجير شهوتهم وقذفها وتفريغها في نسائهم المتلهفات , ولم يكن كل الرجال يفعلون ذلك وانا منهم بالرغم انهن يفعلن ذلك في غرفة خاصة لاسباب تتعلق بزوجاتهم حيث ليس كل النساء يقبلن مضاجعة ازواجهن بهذا الشكل وانما كان عدد قليل منهم من يستقبل امراته في الغرفة البيضاء وكانت الزوجة كما قلت تحرص على مغادرة الغرفة والقاعة والتوجه الى باب الخروج لتنتظر من جاء معها من افراد او عوائل لتعود معهم الى بيتها ولم اكن اعلم الطريقة التي اتفقوا عليها لتحديد من منهم سيستقبل زوجته هذه المرة وكيف يكون التبليغ ايام لم يظهر بعد الهاتف النقال هل يقول لزوجته الاسبوع القادم موعدنا مثلا فتقول له اوكي او ما اكدر سيصادف ذلك موعد الدورة الشهرية فيتنازل زوجها كما اظن الى زميل اخر وهكذا .

اطل مصطفى براسه الجميل قائلا بشكل مباشر وبدون السلام عليكم او صباح الخير مثلا

- استا ذ منو اخترع اللباس الداخلي؟

ولم انتبه لسؤاله لاني كنت مستغرقا في الكتابة ومحافظا على سلسلة الافكار التي اردت تضمينها الكتاب الجديد الذي اخبرتكم عنه سابقا حوارات الرمل والماء والذي ساسميه لاحقا ولغرض الاختصار كتاب الحوارات , رفعت راسي ببطء بعد ان انتبهت الى ان من يقف بباب الغرفة هو الشاب مصطفى الذي لم يكمل

العشرين بعد والذي تخلى عنه اهله وذووه قبل دخوله السجن لاسباب اخلاقية كما سمعت

- قلت ها مصطفى ماذا تريد
- قال استاد عدنا مشكلة
- قلت ماهي تفضل استريح

وتفضل مصطفى الى داخل الغرفة الصغيرة وجلس على الكرسي الوحيد الذي كان يملا الغرفة حتى وان لم يجلس عليه احد ,كان مصطفى شابا وفي مقتبل العمر يمتلك وجها حلوا عينان كبيرتان ملونتان وشعر سرح لطيف وذقن حلوه ترك فيها بعض الشعر ليزيد من بهائه وشبابه , لم اكن اميل الى الحديث مع الشباب لعدم تقارب الاراء والافكار بيني وبينهم كان احدهم يمر بي بسرعة صارخا وبدون اية مقدمات

- فزنا استاد فزنا
- عليمن
- على مانشستر سيتي 6-5
- صدك بالله, العراق فاز على السيتي

وانفجر مصطفى بالضحك ورايت وهو يضحك كل اسنانه حتى اسنان العقل كانت ضحكة طويلة لم يستطع السيطرة عليها او على نفسه

- مصطفى بابا شبيك ليش تضحك
- استاد الله يخليك ياعراق ياستي
- مدا افتهم ابني شنو الموضوع
- استاد الريال استاد الريال مدريد ويه مانشسترسيتي فزنا عليهم ستة خمسة
- لعد ليش تكول فزنا اني عبالي العراق
- لااستاد فزنا احنه الريال

ولما لم استوعب مايقول عدت الى الحاسبة وانا انظر اليه مبتسما فيما هو يحاول ان يكتم ضحكةاخرى توشك ان تنفجر, كنت كلما

سمعت الصياح والضجيج العالي القادم من القاعة عرفت ان هناك مبارة لكرة القدم بين الريال واي فريق اخر سواء كان اسبانيا او اوربيا او حتى عراقيا المهم ان الفرحة واطلاق الرصاص يكون عندما يفوز الريال العراقي

كنت اقرا في كتاب روجيه كارودي واقعية بلا ضفاف الذي اشتريته نهاية الستينيات وكنت احب القراءة لكارودي وكنت اعود الى كتابه الممتع واقعية القرن العشرين لا لشيء الا للتمتع بعبارته الافتتاحية (*لم يعد الصمت ممكنا*) لم اكن شيوعيا ولكني كنت احب الشيوعيين وكنت احترمهم جدا انهم من نوع اخر من البشر كانوا اصحاب خلق رفيع ومبدئية عالية وفكر متطور وهادئين جدا لم التق

ابدا بشيوعي صاخب او معربد او فج او سمج كنت احب كل الشيوعيين رغم معرفتي بالحادهم وكنت ابتسم عندما ارى احدهم في احد الاضرحة والمشاهد زرت مرة احد الاصدقاء في بيته بعد ان تعرض للاصابة اثناء عمله في حديقة منزلة وكسرت ساقه قلت له كيف حالك الان قال بدون وعي وبدون تردد الحمدلله واردت ان اقول له شنو ماذا ولكني استحيت من زوجته الى رسمت ابتسامة لطيفة وودودة على وجهها كانت تلك مفاجاة غير متوقعة لقد نسي الشيوعي انه شيوعي كان مثقفا جدا واستاذا في الجامعة كنت ازوره باستمرار واستمتع بحديثي معه كان يتحدث عن كل شيء باستثناء الحديث عن الشيوعية والاتحاد السوفيتي خاصة بل انه لم يكن يتحدث في السياسة غالبا كنا نتحدث في الادب والفن رغم انه كان استاذا في الاقتصاد وكنت اساله واستفسر عن امور خاصة بالاقتصاد ولكن الحديث كان ياخذنا الى عالم الادب والفن كان شاعرا متواضعا مثلي كنا نكتب اشياء تشبه الشعر هذا ماقاله عنا احد الاصدقاء انكم تكتبون اشياء جميلة جدا ليست شعرا ولكنها تشبه الشعر وكنا راضين بذلك كنت احب الواقعية بلا ضفاف اخذتها مرة اليه بعد ان رجاني ان احضر الكتاب اليه لانه لم يستطع العثور عليه في المكتبات لكنني تذكرت قال لي انك تملك نسخة منه واعجبه الكتاب كثيرا تحدثنا عنه طويلا وفي اكثر من لقاء كان يقرا على مهل سالته اما انتهيت منه قال هذه المرة الثالثة ارجوك لاتفكر باستعادته الان قلت ولا غدا او بعد غد وكنت اظن ان الكتاب بقي لدى صاحبي عندما طلبت من زوجتي ان تحضره لي في زيارتها القادمة وفوجئت عندما اخرجته من حقيبتها سالتها وانا مستغرب

- اين عثرت عليه
- قالت في مكتبتك طبعا
- وسكت لاني تذكرت ان الرجل كان قد احضره الى منزلي بنفسه بعد بضعة شهور من استعارته عندما وجدها فرصة ان ينقب في مكتبتي الصغيرة ليلتقط عددا من الكتب التي لم تكن متوفرة

لديه ويحملها وهو اشبه بالطفل عندما يحصل على هدية جديدة كان سعيدا عندما وجد هذه الكتب كنا نقرا الكثير من الكتب والمجلات والدوريات ونشترك في عدد كبير من الكتب التي كانت تضمها مكتباتنا كنت اعيد قراءة الصفحات لاني كنت اسرح بفكري ولم انتبه الى انني لا استوعب ما اقرا عندما سمعت احدهم وهو يصرخ بزميله في القاعة الكبيرة وبكل قوة

- خره بيك وخره بصدام وانعل ابوكم يابو حزب البعث ياخوات الكحبة انتو لمة مناويج الله ذبكم غضب ولعنة على العراقيين يامناويج ياخوات الكحبة.

- كان الرجل غاضبا وصياحه جعل الجميع منتبها وفزعت كالاخرين القيت الواقعية على السرير وقمت مفزوعا مرتبكا اردت ان اذهب حافيا الا انني تذكرت انني قد اغتسلت صباح اليوم وقدماي نظيفتان ولا احب ان امشي على ارضية السجن التي لايمكن ان تكون نظيفة ابدا جاء حرس السجن وفي مقدمتهم ابو مشتاق يتصنع الغضب والاهتمام وينتظر ان يكلمه احد ما لينفجر بوجهه كما هي عادته حيث التهور والنزق صفتاه الرئيستان ليروا ماالذي حصل كنت انا قد وصلت الى القاعة التي لم تكن تبعد كثير عن غرفتي وعندما راني الجميع سكتوا وهدؤا ويبدو ان بقية السجناء قد سيطروا على الموقف وتمكنوا وبسرعة من اسكات الرجل الغاضب ومنعوا زميلهم البعثي من الرد مما ساعد على ضبط انفعال الرجل الصارخ عندما رؤوني عند الباب قالوا بصوت واحد

- ماكو شي استاد نقاش حاد على موضوع سخيف ماكو شي وعندما وصل ابو مشتاق وبعض السجانين كان الموقف قد انتهى تماما وعاد كل موقوف الى ماكان عليه قبل الشجار بين الرجلين كانا من نفس الطائفة ولكن احدهم كما يطلقون عليه لم يكن بعثيا فقط ولكن صداميا ويبدو ان الصدامي هو اسوأ البعثيين على الاطلاق كما يقولون كانوا يسمونهم بالمستفيد

والمستفيدين من نظام صدام هؤلاء لم يكونوا بالضرورة بعثيين ولكنهم ولاسباب وظروف معينة استفادوا بشكل سريع ومرعب وحققوا مكاسب كبيرة خاصة ايام الحرب مع ايران وتدهور سعر صرف الدينار العراقي واصبحوا يتعاملون بالدولار كما يتعامل التاجر بالسلعة وقد عرفناهم جيدا وكشفوا عن حقيقتهم مباشرة بعد انهيار الدولار من 3000 دينار للدولار الواحد الى اقل من 400 دينار نهاية العام 1996 بعد اتفاق العراق مع الامم المتحدة على مذكرة التفاهم الخاصة بالنفط مقابل الغذاء والدواء حيث انهار الدولار بشكل رهيب وتلطمت واسودت وجوه المستفيدين مثل اي تاجر وضع كل ماله في بضاعة يستوردها راجيا ومتاملا منها ارباحا كبيرة ثم يخبرونه بغرق السفينة التي تحمل هذه البضاعة وضياع كل ثروته التي رصدها ووظفها في هذه البضاعة لقد عرفناهم جيدا وكشفناهم في ذلك اليوم السعيد وقد سمعنا قصصا عن اشخاص اقدموا على الانتحار بسبب الخسارة الكبيرة لقد كشفوا عن انفسهم كانوا يفرحون لاية مصيبة تحدث في البلد بما يساهم في رفع قيمة الدولار ليستفيدوا من فرق التصريف سالني احد سواق الاجرة مرة منتصف التسعينيات وفي خضم الحصار الاقتصادي الاممي على العراق

- قال كيف تفسر ان موظفة خريجة المتوسطة براتب ثلاثة الاف دينار شهريا لكنها تصرف اكثر من مئة الف دينار في الشهر؟ ولم اجبه لاني لم اكن املك الاجابة الصحيحة اردت ان اقول له ان هذه وامثالها لابد ان تكون مشبوهة ولديها علاقات غير شريفة تحصل بموجبها على مورد اضافي لم يخطر ببالي ان مثل هذه الموظفة ممكن ان تعمل بسوق الدولار.

وبينا انا اقرا في اخر كتاب احضرته لي زوجتي سمعت صوتا يشبه الغناء صوتا منفردا لم يكن عاليا جدا ولا خافتا

جدا كان يمكن ان اسمعه بوضوح من غرفتي التي لم تكن بعيدة جدا عن باب القاعة التي يفتشرها اقل من ثلاثين شخصا ولكنني رغم طربي وافتنناني بالصوت واللحن الجميل كنت وهذه عادتي اطمع في معرفة كلمات اللحن فقمت من مكاني ولبست نعالي ابو الاصبع الذي اشترته زوجتي من محل O3 بداية شارع الربيعي من جهة شارع فلسطين واذكر انها اخبرتني انها اشترت زوجين من هذا النعال واحد للمعتقل والاخر للبيت كانت امالها كبيرة بخروجي من المعتقل وربما ظلت تقنع نفسها والاخرين بقرب خروجي وتسال بعض من اقاربنا هل هناك يوم محدد لخروج الموقوفين والمعتقلين ويسالونها ليش ولماذا تقول حتى اكون متهيئة تقصد انها يجول ان تاخذلها خوطه ع البيت من تنظيف ومسح وترتيب وتبديل ملاءات واخراج الصحون الخاصة بالضيوف مع الملاعق والسكاكين والاشواك والاهم من ذلك الصحن الخاص بي والذي لم اكن اكل في غيره مع الملعقة ذات اليد الحمراء التي احضرناها من سويسرا بعد ان تخليت عن ملعقة الفضة التي احضرتها معي من رومانيا بعد ان قرات انه لايجوز الاكل بملاعق الذهب والفضة لكنها كانت تذكر لهم كل شيء يخص المنزل ولاتذكرنفسها ابدا وبعد ان وضعت قدمي في النعال الجديد خطوت بتمهل وتوءدة املا ان اصل الى باب القاعدة والمطرب لازال يعيد في المطلع الذي يقول

ع البانية وع البانية .. يابو بنات ثمانية

وع البانية وع البانية .. يابو بنات ثمانية

وكان الصوت صوت كاظم ابو حيدر كما توقع وظل يعيد المطلع كانه كان ينتظرني او يريدني ان اشبع منه قبل ان ينتقد الى المقطع الثاني

ع البانية وذب روحك .. هيه التطيب جروحك

وع البانية وذب روحك .. هيه التطيب جروحك
واستمر وبنفس النغمة ولكن بشيء من السرعة الخفيفة
تكطع بجيك ونوحك .. تكطع بجيك ونوحك
وتوصلك الالمانيا
وقبل ان اصيح الله وقبل ان اهم بالدخول لاحتضان كاظم على هذه المبادرة الحلوه صاح شاكر وهم يهم بدخول القاعة حاملا صفطة كبيرة من الخبز العراقي الذي احضره احد الحراس الذين توسلوا اليه ان يجلب لهم من الخباز القريب عددا من ارغفة الخبز العراقي المعروف بالخبر الابيض او خبز مي مع كيس نايلون مملوء بالبصل الابيض وحتى بعد ان راني شاكر احاول ان ادخل استمر قائلا
ـ انت والبانية شكجا مرحبا اي ماعلاقتك انت والبانية ياكاظم وانت تكول اني من الكاظمية يعني اكلكم كله شجر اي كوسه بالمصري والسوري وان اخوض في تفاصيل ماحدث خلال الثواني التي تلت هذا التصريح الذي تفضل به الرفيق شاكر الذي ضيع علي فرصة التمتع بهذه اللحظات العراقية الثمينة لان كل من كان في القاعة هجموا على كاظم ليمنعوه من افتراس شاكر الذي وصل الى مكان قدر البانية الذي كان يشرف عليه احد الاختصاصيين بخطوات تشبه القفز بعد ان لمح بطرف عينه تاهب وانتباه واحتقان عيون كاظم الذي هجم عليه الاخرون وابقوه جالسا في مكانه حيث منعه غضبه من النطق باية كلمة تجاه شاكر ولما رايت ان الامور كانت على مايرام سحبت نفسي عائدا الى غرفتي بنعال الجديد وانا اسب والعن شاكر في سري وصارخا بغضب f
***

ومن غرفتي التي لاتبعد كثيرا عن القاعة جاءني صوت جهوري واضح وهو يقرا فيما يشبه الشعر قصيدة ربما ولكن ليست من الشعر العمودي انها شيء اخر اردت ان اقوم كالعادة لارى ماذا

يحدث حيث كانت بعض الكلمات تصل الى مسامعي واضحة كانه يجلس امامي ويقرا وفكرت بسرعة انه شيء مالوف سبق وان مرت علي هذه الكلمات كاني سمعتها الاف المرات يالهي هذا صوتي وهذا جرحي انه المي اي نعم انه المي ووجعي على لسان شخص اخر شخص ربما يكون مجروحا ومهضوما مثلي انه يقرا بصوتي انه صوتي انا انه يقرا مثلي يتحدث عن نفس الجرح عن نفس الالم انه انا انه يتحدث عني يجب ان انهض واذهب كما كل مرة لاسمع بوضوح اكثر ولكن فيما انا اهم بالنهوض وقبل ان اضع رجلي الكبيرة في نعالي الجديد الذي اشترته زوجتي بعشرة الاف دينار من محل O3 اطل علي كالفرح الصادق العزيز كاظم ابو حيدر وهو ضاحك مستبشر فرح وسالني قال سمعت استاذ انه انت اليس كذلك انه اسمك لم نتمالك انفسنا عندما بدا الدكتور موسى بالقراءة سالنا ونحن متلهفين للمزيد من الشاعر من الشاعر انه اسمك نحن نعرف اسمك الكامل كان الدكتور مهدي فرحا بقراءة هذا النص لا اعرف كيف حصل عليه لاني لم اكن بدات بالنشر فعلا وانما كان النشر مقتصرا على موقعي الشخصي وصفحتي الخاصة بالشعر في الفيس بوك قبل ان اغادره للتفرغ للكتابة قلت لكاظم الذي كان مرتبكا بسبب سعادته واكتشافه انني صاحب هذا النص قلت استاذن من الدكتور موسى ودعني اطلع عليه قال حاضر استاد وقفل عائدا الى القاعة وماهي الا لحظات الا وكلاهما مهدي وكاظم من خلفهما حفنة من النزلاء الذين ارادوا التاكد من انني صاحب هذا النص وقبل ان يقولوا او يصرحوا باي شيء خاصة الدكتور مهدي الذي وجد الكنز قلت دكتور لديك صوت رائع اين كنت طيلة هذه المدة المرة القادمة ساطلب من زوجتي احضار ديوان الجواهري لنتمتع بصوتك الجميل وبسبب خجله وارتباكه ودفع ومزاحمة الاخرين له عند الباب لم اجده الا وان احتضن الدكتور مهدي الذي انهال علي تقبيلا ولثما وانا احاول ابعاده قليلا خشية العدوى لاني لم اكن اطمئن لنظافة السجن خاصة ايام الحر ولكني انتبهت لنفسي وخجلت من تصرفي وقمت

بالطلب من مهدي ان يجلس على الكرسي الوحيد المتهالك امام سريري وقلت له تخيل انك صاحب هذا النص فاقرا ارجوك دكتور وقرا

اشربوا معي
نخب
حريتنا الزائفة المتقلبة
وحريتنا  التي نفقدها كل يوم
وحقوقنا المستلبة
نخب نصب الحرية الصامد ابدا
خلف حمامة السلام
نخب الزوجة الطيبة
ومحاولاتها البائسة للسيطرة
بعد نصف قرن من العذاب
على فراش المتعة المستديمة
نخب
اولي العزم
الذين لم يبلغوا رسالاتهم الا بالتهديد
نخب ملوك الجزيرة الفاسدين
نخب
الصليب الذي احمله على ظهري منذ نصف قرن
ولا اجد من يصلبني عليه
نخب
زوجاتنا الغاضبات
وعشيقاتنا البريئات
نخب
جرح قديم
لايريد ان يندمل
نخب
روحي التي تتسكع على ارصفة الحزن
واحزاني التي تمسح روحها على شبابيك الغربة

على خيبتي المستمرة
وسوء حظي
ورغبتي في البكاء
وشعوري
باني فائض عن الحاجة
مثل ذكر النحل
على مصيبتي التي تتكرر كل يوم
وموتي الذي يتاخر دائما
على فراشي البارد
وغرفتي المشوشة
على خطيئتي التي اقترفها كل يوم
و خطيئتي التي لم اقترفها بعد
وخطيئتي التي نسيتها
والتي لا اريد ان انساها
على امراة اريدها كل ليلة
امراة تذكرني باني لم ازل ملعونا
على جنودنا الذين لم يذهبوا الى الحرب
وجنودنا الذين لم يشاركوا في حرب التحرير
وجنودنا الذين شاركوا في حروب الطائفية
اشربوا
نخب العراق
وسقوط الحضارة في بغداد
نخب الاخلاق
التي هاجرت قبل ان يهاجر الينا اولاد الزنا واولاد الكلب
اشربوا
نخب
بطنها قبل ان يحتلها السكري
قبل ان تقول لي كل يوم
لماذا كبرنا ؟
اشربوا
نخب

ديك الجن قبل ان تظهر براءتها او
اشربوا نخب
وضاح اليمن قبل ان يدخل صندوقها
اشربوا نخب كتاب الالم
وكتاب الرمل
او اشربوا نخب
مكتبتي التي بعتها من اجل حذاء جديد
اشربوا
نخب ايامي الاخيرة
في عقد الستينيات
قبل ان تقول لي سيدة ارمنية
بعدك زغير

اشربوا نخب
امراة العزيز
وامرة قالت لي هيت لك
وقلت لها معاذ الله
اشربوا
حتى يطلع فجر جديد

اشربوا
نخب ام الفستان الاحمر
قبل ان تفقد عذريتها على ارصفة الباعة المتجولين
اشربوا
نخب وجدي الذي يقتلني كل يوم
وشوقي الذي يحاصرني
ورغباتي التي تستفزني
وموتي
الذي ياتي ولا ياتي
على صراخي الذي لايسمعه احد
وصمتي المفضوح

على رجل يصرخ بي
اصعد
انت في سفينة نوح
على جرحي الذي لايشبه الجروح
وروحي التي ظلت تنوح
اشربوا
نخب
بغداد التي تستطيع ان تفعل فيها اي شيء
باستثناء ان تكون شريفا
اشربوا
نخب
مستقبلي الذي اصبح قريبا جدا
وقصيرا جدا
ومملا جدا
على وحدتي المليئة بالمفاجات
على ابوابي المغلقة
وصراخي الذي لايسمعه احد
على طيبتي
التي تصرخ بي كافي

اشربوا
نخب
مدينتي الفاضلة
الضائعة في صحراء الربع الخالي
اشربوا
نخب
عاهرات المونديال
القادمات من اجل السلفي
ومن اجل قبلة مجانية او شو شنو المجاني
على ضربة الجزاء التي ضيعها ميسي

## وفرصة الفوز التي ضيعها العرب
## وعلى الغضب
## الذي يجتاحنا بلا سبب
## علاء العبادي

***

وكنت اسمع وعلى مدى اقامتي هناك عددا لايحصى من الشتائم والسباب مثل خره بصدام التي كنت اسمعها كثيرا وخره بالبعث وطز بالحزب واخيرا خره بالمالكي وخره بالعامري وخره بالعبادي وطز بالحكيم وخره بالوقف الشيعي وخره بالوقف السني وخره بالديمقراطية والاحزاب والبرلمان والوزير الفلاني والوزير الفلاني وطز بامين بغداد ووزارة الصحة ووزارة المهجرين والمهاجرين وعدد هائل من الشخصيات والمؤسسات العراقية وكنت عند كل سباب اسمعه او شتيمه اقفز من سريري لاضع قدمي في نعالي الجديد الجوزي اذي اشترته زوجتي من محل O3 بمبلغ عشرة الاف دينار محاولا قدر الامكان امتصاص غضبهم واسكاتهم خاصة بوجود الحارس ابو مشتاق الذي ظل يبحث عن ذريعة لابتزازهم ماليا واحثهم على عدم مناقشة اي شيء يتعلق بالسياسة ووضع العراق وان يلتهون بالطوبه والقفز العالي والسلة وغيرها او ربما بالغناء مارايكم بالغناء الابوذيات مثلا او الدارميات الستم تحفظون الكثير منها دعونا نعمل مسابقة في احسن دارمي واجمل ابوذية عليكم بالابوذيات والدارميات خاصة التي

***

وكنت كلما تذكرت واشتهيت الكابتشينو انهض من سريري واتمشى في الممر الذي يبدا من باب غرفتي الى الحمامات وحيث على يسار باب الغرفة تقع غرفة تواجد الحرس وعندها يبدا سلم الطابع الثاني وفيما كنت اخطط وافكر بان اطلب

من زوجتي ان تاتيني ببعض الاكواب الخاصة بالكابتشينو سمعت احدهم يهبط السلم بسرعة فائقة وكان ذلك هو محسن الذي هبط قفزا ليكون عند باب الحرس متجاهلا وجودي ومحاولتي الاستفسار عن الامر لكني سمعته يخاطب احدهم

- فاضل المدير يريدك
- شيريد
- ما ادري بس يبين الطاوة محروكه كوم بسرعة تحرك

وقام فاضل الذي كنت اسميه التافه منذ اليوم الاول لدخولي المعتقل عندما صاح بنا انا واحد اصدقائي الذي جاء بي بسيارته الشخصية لايصالي الى السجن

- اخونا صاح فاضل ممنوع الوقوف هنا تحرك طلع السيارة

وتحرك صاحبي الذي كان ينظر له بمراة السائق وهو يقول يالها من بداية انه صباح رائع اليس كذلك

ماذا تتمنى الان ؟ ها

لم اجبه ثم تذكرت, بل قل ماذا تشتهي..

- فجر يوم جديد وخبز العباس وليتنا في محرم

كان فاضل اتفه الموجودين واكثرهم حقارة بعد ابو مشتاق كان لئيما وحاقدا ومزعجا مزعجا جدا لكنه لم يكن غبيا جاهلا ربما ولكن ليس غبيا لا لم يكن غبيا كان ضخم الجثة عملاقا ولكن بملامح عادية جدا لم يقرا اله المتاهة ولم يسمع بكولن ولسون كان يمر علي احيانا يتصنع الطيبة والحرص والاهتمام لكنه كان واضحا جدا لقد كان خادما لمدير السجن يلبي كل طلباته مثل

- نادي على فاضل لينظف التواليت او
- صيح فاضل خلي يصبغ حذائي الخ

وكان فاضل يلبي كل طلبات المدير ومنها انه كان يرسله يوميا لياتيه بمشتريات البيت من لحم ودجاج وطماطم وبطاطا وبصل الخ وذلك بعد ان قام المدير بمنحه سلفة مستديمة يصرف منها لمشتريات ومتطلبات المدير التي كان تشمل كل شيء بما فيها اخذ

ملابسه وملابس البيت الى المكوى بين حين واخر او تصليح سيارته وسيارة زوجته بين الفينة والاخرى لم يكن المدير يقبل ان يقوم احد اخر بتلبية احتياجاته الشخصية وكان يغضب عندما يقوم ابو مشتاق الذي كان يتصرف كمعاون للمدير بارسال شخص اخر لانجاز مهمة للمدير بدلا من فاضل لان ابو مشتاق لم يكن على ود مع فاضل لسبب ما

ولم ارى فاضل وهو يصعد السلم لاني كنت قد دخلت غرفتي محاولا بطريقة او اخرى تجاوز رغبتي بشرب القهوة التي كانت قد نفدت تماما لدينا ولدى الحرس وفيما انا احاول ان اتمدد على السرير سمعت صوتا خافتا كانه صياح ولكن صوت بعض القهقات غير المكتومة كان واضحة جدا فقمت ووضعت قدمي مرة اخرى في نعالي الجوزي ابو الاصبع الذي اشترته زوجتي من محل O3 بمبلغ عشرة الاف دينار وخطوت خطوتين هي المسافة كلها بين سريري وباب الغرفة ومددت راسي لارى كل الحرس متجمعين عند باب المكتب وعيونهم شاخصة الى اعلى السلم عارفين ان الصوت هو صوت مديرهم القادم من غرفته في الطابق الثاني وفي مقدمتهم محسن وقد بدا عليه وعليهم علامات الرضا والسرور والابتهاج بل وربما علامات التشفي لانهم سمعوا صياح المدير مخاطبا فاضل...

- اخ الكحبة ليش اني مقصر وياك بشي كواد ابن الكواد اكو واحد صرف عليك وعلى مرتك الكحبه, وهنا اختفى تقريبا صوت المدير وصراخه المتواصل على فاضل لان احدا ما ولابد ان يكون فاضل نفسه قد اغلق الباب التي صممت لحجب الصوت تماما وكان تعبير وجهي حياديا تماما لكنني لم اتمالك نفسي لاسال خير شكو شبيكم وهي عبارة كما ترون وكما قررت حيادية جدا ليس فيها اية اشارة للمدير او لفاضل او حتى لمايجري في الطابق الثاني وعندما حاول محسن ان يفتح فمه قام احدهم بقرصه ودفعه بغية اسكاته خوفا ان يتطور الامر الى

سيل من الاعترافات التي اشتهر بها محسن الذي كان كثيرا مايعاقب لافشائه اسرار السجن وخاصة مايحدث في غرفة المدير كان محسن يعرف الكثير ليس بحكم قرابته من زوجة المدير ولكن لان احدا لم يكن يراه كان محسن غير موجود في نظر الاخرين لذا لم يكن احد يعيره اي اهتمام وقد روى لي الكثير من المعلومات والكثير منها كانت اسرار حرصت على ابقائها لنفسي وعدم التفوه بها او ذكرها امام احد قال محسن استاد امس بالليل بعد رزالة المديرلفاضل كنت في الغرفة انظف بعض محتوياتها بناء على طلب المدير ويبدو انه بعد مضي بعض الوقت لم ينتبه لوجودي وقام بالاتصال باحد اصدقائه كما يبدو وسمعته يقول له

- نعم نعم كما قلت لك هذا الكواد فاضل كان يعمل قوادا على امراته ويرسل من يدفع له الى بيته لمضاجعة زوجته العاهرة كانه نسي او تناسى المبالغ التي كنت اعطيها لامراته القحبة ومثاقيل الذهب التي كانت تشتريها ومشترياتها التي كنت البيها دائما وطلباتها التي لاتتوقف واخرها طلبها بالسفر الى تركيا لترى الشيف مال طيزي
- شيف بوراك
- اي زربان شيف باراك
- بوراك
- اي هو هذا الشيف التركي , وراحت لمدة اسبوع مع اختها وقبلها سافرت هي وامها واختها الى لبنان وعندما سالتها لماذا لبنان قالت بسبب تدهور الليرة اللبنانية وقلت لاباس خلي تروح وراحت العاهرة بنت العاهرة ومن مكان ما في لبنان كتبت لي لاحول لها بضع مئات من الدولارات وكانت غاضبة ومنفعلة ومتذمرة
- يكولون الليرة متدهورة شو بعدها اسعارهم معلكه وملابسهم غالية

- كتلها مو لبنان كلها ماركات انت ماسامعه بيها ثم من قال لك ان تدهور اية عملة يعني هبوط الاسعار ورخص المواد

ولكن في النهاية لانها كانت بقره والبقر لايفهم في هذه الامور حولت لها ماتريد

وتالي يقوم كوادها ابن القحبة بعرض كس زوجته العاهرة بنت العاهرة على بعض من يعملون عندي تصور

- ابو مشتاق
- لا شحده ابو مشتاق غير اطيح حظه
- لعد منو
- ياسر وعمر الاول ارسلته الى سجن الحلة والثاني ارسلته الى سجن بعقوبة
- وفاضل ماذا ستفعل به
- بسيطة ولايهمك , اسلط عليه ابو مشتاق ينيج اخته .

لا ادري كيف تذكر محسن كل هذا الحوار خاصة الحوار الخاص بتدهور الليرة لان محسن كان طفلا لايعي او يستوعب مايقال له او مايحدث امامه.

كان في القاعة جهاز تلفزيون بائس قديم يتابعون فيه نشرات الاخبار والبرامج الرياضية ليس من اجل الاخبار نفسها ولكن من اجل مذيعات التلفزيون الفاتنات وكنت اجلس معهم احيانا عندما نسمع ان هناك خبرا مهما سيذاع اليوم وكنت اصغي الى التعليقات والهمس كلما اطلت احدى المذيعات بوجهها الجميل الممتليء وعينيها الكحيلتين وشفاهها الحمراء وشعرها الاسود المنسدل فوق كتفيها كنت انظر اليهم خلسة كانوا يحدقون فيها كانهم لم يروا امراة من قبل كانوا يشتهونها ويتصاعد هذا الاشتهاء وتتزايد الرغبة بها كلما عادت المذيعة الى الشاشة بعد الخبر المصور وكانوا يتابعون وبكثير من الحرص والاهتمام كل المسلسلات والافلام العربية ولم يكن احد منهم الا قلة من يتابع مثلي الافلام الاجنبية التي كان تلفزيون بغداد يعرضها مساء يوم الاحد من كل اسبوع .قال احدهم

- هاي واكفه هيجي لعد لو تنام شلونها؟ وكانت مذيعة النشرة الجوية تحاول كما اعتقد وتتعمد عرض مؤخرتها كلما استطاعت لذلك سبيلا وكانت مؤخرتها رائعة وكنت كلما نظرت الى مؤخرة امراة ما تذكرت راي الطبيبة الالمانية التي قالت في دراسة بحثية ان نظر الرجل الى مؤخرة المراة يقلل من توتره او شيء من هذا القبيل وكان هذا الراي حجة لي للدفاع عمن ينظرون الى المؤخرات . وكان احدهم كلما استدارت المذيعة باتجاه شاشة العرض التي توضح تفاصيل المناخ والطقس همس لمن حوله
- بغداد كبرانه.

كنت اود لو يقول لي الطبيب ستكون اسعد اذا تناولت هذا الدواء بدلا من هذا الدواء انهم لايفعلون ذلك لماذا لايفعلون ذلك لماذا لايقول لي الطبيب صدقني ياسيدي انك ستكون اسعد بكثير فيما لو تناولت هذا الدواء انه حتما وانا متاكد مما اقول سيجعلك اسعد مما لو اخذت هذا الدواء لم اسمع احدا من الاطباء يقول ذلك كنت ارى احد الاطباء الشباب ياتي غالبا الى السجن لعلاج او معاينة احد الموقوفين لكني لم احتاجه قط خلال مكوثي في المعتقل رغم ان لي تاريخا طويلا مع الاطباء ومنذ ان كنت صغيرا كنت اتعرض الى ازمات صحية كانت كلها اما بسبب اللوزتين اللتين تخلصت منهما اخيرا قبل ان ابلغ الثلاثين عندما بدات بالالتهاب كل شهر او اقل او بسبب مشاكل الانحراف والجيوب الانفية التي كنت اعاني منها كثيرا ومازلت كنت احب زيارة الطبيب واكثر من ذلك احب النوم في المستشفى ربما لاني كنت احب الزيارة ان يزورني احد ويجلس معي بعض الوقت وياتيني بهدية ما او طعام كالفاكهة وغيرها لاادري لماذا كنت احب ذلك كان في الغالب يضعونني كما هو الامر الان وانا في الموقف في غرفة وحدي اتمتع بمزاياها التي لاتعجب احدا, غرفة صغيرة جدا بالكاد تتسع للسرير ودولاب صغير من الحديد يكون عادة الى جانب السرير يضعون عليه بعض الاشياء وكرسي صغير ربما لجلوس الزائر او الضيف نعم كنت احب البقاء او ان صح التعبير العيش في المستشفى احب رؤية الممرضات الناعمات الرشيقات السريعات في خطوهن ومشيهن الشاطرات النبيهات يسرعن اليك كمن تسرع الى لقاء حبيب وتلبي كل طلباتك واحتياجاتك كنت انظر اليهن خاصة عندما

يقوم الطبيب المختص بالجولة اليومية على المرضى الذين اجرى لهم العملية او من سيجري لهم العملية كن مؤدبات كتومات حريصات على ابداء مظاهر الاحترام والاستجابة الى حركات واشارات وتوجيهات الطبيب وكنت كلما رايت واحدة منهن اتذكر على الفور الرويات والافلام التي تتحدث عن كفاءة وقدرة وسخاء وعطاء المراة في ساحات القتال ودورها الفريد في العناية بجرحى الحرب والتفاني في انجازمهمتها الانسانية الفريدة باروع واكمل صورة

قال عبد الحميد

- لاجدوى من الانتظار, هل تعلم , قلت : لماذا
- لاننا مازلنا نكبر ونتقدم في العمر, سيكون الانتظار بلا معنى , اليس كذلك؟ اذا كان هناك من شيء يجب ان تفعله , فافعله, اذا كنت تريد ان تخبر احدا ما بشيء ما , فاخبره, سيكون الانتظار بلاجدى, اننا ننتظر النهايات وحسب. النهايات ياسيد, النهايات, قالها واعادها بالم وحزن لم ارد مقاطعته , تركته يقول مايريد , لقد بدا كئيبا ومحبطا, كان وقورا دائما, ولوقارته وهدوئه وصمته , يظنه الاخرون كئيبا او حزينا , لايتحدث مع اي كان , يقول لي لاجدوى يايسوع لاجدوى, ولاني كنت ارغب بالمزيد من احاديثه الشيقة الممتعة , بل المتنوعة دائما, كانت لديه هذه الطريقة العجيبة في طرح واثارة اكثر من موضوع في ان واحد واكثر ماكان يعجبني فيه وفي نفس الوقت يثير غضبي احيانا هو تنقله من موضوع الى اخر دون ان يشعر المستمع له بذلك ولاني كنت مولعا بالمعلومات كنت احاول ان اتذكر هذه القصة وتلك الحادثة لكي اساله عنها مرة اخرى وكان كلما عاد الى تلك القصة تشعبت مرة اخرى الى قصص واحداث ووقائع جديدة ولكني لم اسام ولم امل, نعم كنت اغضب قليلا وكان لذكائه ينتبه الى غضبي وحنقي فيقطع روايته ويقول لاتخف ساعود اليها حالما انتهي من هذه الحكاية, قل لي الان ماتعريفك لكلمة مثقف؟ قلت:
- هو نفس تعريف العرب لكلمة مثقف كما اعتقد اخذوها من ثقف اي برى القلم (*وهي تعني في المعجم الشخص الحاذق والفطن والذي*

*يُنسب إلى أهل العلم والفكر) قال وهو يحاول اخراج سيكارة من علبة السكائر والتي اعادها بعد ان اشرت له باصبعي ان التدخين ممنوع*

- هل سمعت بتعريف عباس محمود العقاد , قلت وانا محبط لانه لم يقتنع بكلامي
- لا
- لدى العقاد تعريف لطيف وشيق وذكي لكلمة المثقف
- حقا ' ماذا قال العقاد بهذا الخصوص؟
- يقول عن المثقف : ان يعرف كل شيء عن شيء, ويعرف شيئا من كل شيء

لم استطع تمالك نفسي فصحت الله ياعبدالحميد الله عليك وعلى العقاد هذه اول مرة اسمع بها ان يعرف كل شيء عن شيء رائع رائع جدا ياسيدي لماذا لم اطلع على هذا الراي انه راي وتخريج رائع من قبل العقاد اليس كذلك ساحاول حفظها لتثبيتها في دفتر الملاحظات حال عودتي الى الغرفة كانت حواراتي مع عبدالحميد قصيرة وسريعة ومقتضبة كان حريصا على الانتقال والقفز من موضوع الى اخر دون ان يغمط الموضوع الذي قفز منه حقه في الشرح او التفسير وكنت احب هذه الانتقالات السريعة واحاول جاهدا ان احفظها في ذهني لتسجيلها لاحقا في دفتر الملاحظات لكني لاحظت ان عبدالحميد رجلا ذكيا فقد انتبه الى قصر مدة الزيارة وان هناك وفي كل مرة واحد او اكثر من زائر يرغب برويتي والحديث معي وفي مقدمتهم طبعا زوجتي التي كما قلت لم تتخلف عن الحضور الا مرة او مرتين كانت فيهما مريضة جدا ويبدو ان عبدالحميد كان حريصا على ان لا يحرم الاخرين ايا كان من زيارتي خاصة وان الزيارة ليست هينة وسهلة تماما فقد كان الزائر ياتي مبكرا جدا ومن مسافات غير قصيرة ووسائل نقل غير مريحة وفي ظروف مناخية قاسية احيانا خاصة ايام الصيف العراقي

- ساحدثك عن الجمال ايها العزيز قال عبدالحميد
- سئل مايكل انجلو مرة كيف تنحت الجمال من حجر جامد فرد قائلا انا لا انحت ولكني ارى الحقيقة داخل الحجر وازيل عنها اي شيء اخر

كان عبد الحميد هادئا وعلى محياه ابتسامة رضا وسرور وربما لو كان احد غيره لاعترته حالة من الغرور والاعجاب بنفسه ولكن ليس مع عبدالحميد المثقف الرزين الذي لاتهمه انفعالات الاخرين او اعجابهم بما يقول لانه يعرف قدر نفسه ويعرف تماما انه متقدم على الجميع بالخزين الهائل من المعلومات التي تحتفظ بها ذاكرته العجيبة اتذكر انني عندما قمت بالثناء عليه واطرائه ومدحه واعجابي بادبه وثقافته ومعارفة المتعددة قال

- انت تعتقد انني مثال للرجل المثقف ولعلك تظن انك احد اكبر المثقفين في هذا البلد ولكن هذا غير صحيح يا صديقي تذكر مقولة سقراط
- لااعرف سوى شيء واحد هو انني لااعرف شيئا
- نعم اعرف ذلك واحفظ العبارة تماما واعرف قوله
- تكلم حتى اراك
- هل تتابع الافلام الاجنبية ؟
- نعم بالتاكيد انها احدى هواياتي ومصدر مهم من معرفتي ومعلوماتي
- الم تلاحظ كمية مايرد فيها من معلومات عن شعراء وادباء وفنانين ومقولات وعبارات ونصائح وامثال لم نسمع بها من قبل
- نعم صدقت يحدث ذلك معي كثيرا وكلما سمعت احداها اعود الى محرك البحث كوكل لابحث عنها نعم يحدث ذلك كثيرا بل اني اعود لمشاهدة الفيلم مرة اخرى فقط للاستمتاع بهذه المعلومة اوتلك

- الا ترى, نحن لانعرف كل شيء ولكننا ربما نعلم اكثر مما يعلمه الاخرون
- الذين لايعلمون شيئا
- او يظنون انهم يعلمون
- نعم نعم صحيح صحيح جدا
- اما انتهى وقت الزيارة ؟ بدات اشعر بالجوع.
- دعني اتي لك بشيء من غرفتي قلت هذا بسرعة وبدون تفكير وندمت لاني قلته لاني تذكرت بعد ذلك انني قد ارسلت قطع الكيك والبسكت وعلب الحليب المطعم وكيس كرزات وغيرها الى القاعة بعد ان سمعت ان احدهم اشتهى نستلة بنسبة 85% كاكاو وكانت هذه عادتي انني اعطي كل مالدي ولكن الحمدلله ان احد الحرس اعلن عن انتهاء الزيارة فما كان من عبدالحميد الا ان نهض عن كرسيه ومد يده قبل ان انطق باية كلمة
- شكرا على استقبالك لي هذه المرة ايضا سلم لي على موسى واتمنى له الشفاء العاجل واردت ان اقول ولكن موسى ليس مريضا على حد علمي ولكن اثرت السكوت لاني كنت قد شككت فعلا في عدم استقبال موسى لصديقه عبدالحميد لان هذه المرة الثانية التي استقبل فيها عبدالحميد بعد ان التقي بزوجتي وتخبرني بما لديها وتسلمني الحقيبة المليئة بطلباتي لتنصرف بعد ذلك وتتركني مع عبدالحميد الذي يبقى واقفا ينتظر موسى وعلامات الاستغراب والدهشة ظاهرة على محياه يبدو ان احدهم اخبر عبدالحميد ان موسى مريض ويعتذر عن لقائه ولان عبدالحميد لم يكن يريد ان يضيع هذه الفرصة اي فرصة الحضور الى الزيارة وقعت عيناه علي عندما راني اهم بالمجيء اليه لاطمئنه بان موسى على وشك الحضور لمقابلته قال فورا لقد اخبروني بان موسى مريض وقد قلقت عليه اريد الاطمئنان عليه انه رجل كبير كما تعلم وصحته ليست على مايرام كنت اتي له بادوية القلب ودواء موسع الشرايين وادوية

الضغط والسكر والنيروبين وغيرها ولكن هذا لم يكن السبب الفعلي لزيارته كل اسبوع كنت ازوره منذ وقت طويل بعد شهر من دخوله السجن لاني كنت في اوربا في اجازة الصيف ولم يخبرني احد بذلك حتى عودتي ولقائي ببعض الاصدقاء في مول المنصور واخبروني بما جرى للاخ موسى

- اعتقد انه سيكون بخير وسينتظرك في الزيارة القادمة
- ارجو ذلك والان قبل ان اذهب دعني اعرفك بنفسي
- لاداعي لذلك دكتور عبدالحميد انا اعرفك الان لقد حدثني موسى عنك كثيرا ويسرني ان اتعرف عليك اذا سمحت واستقبلك بدلا او مع الاخ موسى في حالة عجزه عن المجي ء اليك اذا سمحت
- يشرفني ذلك فانت كما يقول موسى الموسوعي اللطيف
- لست موسوعيا تماما دكتور ربما كنا كذلك قبل عصر النت ومحركات البحث التي اصبحت تتفوق علينا بمعلوماتها الغزيرة وتفاصيلها وذاكرتها المدهشة لقد اصبحنا من الماضي
- ولكننا سنبقى نحظى بالاحترام والتقدير اليس كذلك
- نعم نعم بلا شك
- اود ان اعبر لك عن شكري وامتناني واعتذاري لاني اخذتك من زوجتك كما اظن
- نعم انها زوجتي جاءت بسرعة وارادت المغادرة بسرعة اضطرت بسبب الزيارة الى ترك اختها القادمة من كربلاء هي وزوجها معتذرة بعدم امكانها ان لا تاتي لزيارتي تعتبره واجبا مقدسا وامرا حتميا
- بارك الله بها تحياتي لها

ورايت مايشبه الدمع في عيني عبدالحميد الذي بدا بهز يدي التي لم يتركها منذ خمس دقائق

- سنتحدث في المرة القادمة نجلس انا وانت وموسى على منضدة واحدة ونتحدث سوية شنو رايك
- ساكون سعيدا

- بلغ سلامي لهذا الشيوعي الصلب المريض او المتمارض وقل له اصمد يقول لك عبدالحميد: هناك وقت للموت ووقت للحب.

حالما غادر عبدالحميد وقبل ان تنتهي الزيارة حيث الجميع مازالوا مشغولين بذويهم اسرعت انا الى القاعة لاجد بعض الشباب مستلقين على فراشهم يشغلون انفسهم بشيءما وسالت اين موسى قال احدهم انه في الحمام وكنت قد وصلت الى فراش موسى وجلست عند طرفه البعيد عن المخدة وقبل ان ارد على الشباب بالله بالخير دخل موسى والمنشفة على راسه ودشداشته مازالت رطبة في بعض الاجزاء وحالما راني احاول الوقوف صاح بي

- بالعباس ماتكوم صدك جذب صار شكد ماشايفك ارجوك اخذ راحتك , بالرغم من انه شيوعي الا انه لم يتخلى عن عاداته التي جاء بها من الشنافيه التي قضى فيها فتوته وشطرا من شبابه قبل ان يحصل على احدى الزمالات الى الاتحاد السوفيتي ابان حكم الزعيم عبدالكريم وهي ربما كانت احدى الاسباب المؤكدة التي دعته للانضمام الى الحزب الشيوعي بعكس ماحدث لي انا بعد اكثر من عقدين عندما غادرت للعمل في السلك الدبلوماسي في سفارة الجمهورية العراقية في بخارست عاصمة رومانيا عندما كنت اؤمن بالاشتراكية لاعود وانا اميل كثيرا الى الراسمالية التي لم اتبنى اتجاهاتها واطروحاتها لاني لم اكن اؤمن بها اساسا كنت اعتقد واؤمن بالقيم والافكار الاشتراكية التي سرعان ماتهاوت الواحدة تلو الاخرى طيلة وجودي في رومانيا الاشتراكية .

وبينما كان يحاول لم المنشفة على راسه كان احد الشباب قد جاء بكرسي من غرفة الحرس حيث اجبروني على الجلوس عليه لمعرفتهم بمشكلة ساقي التي لم اعد استطيع طويها طويلا وجلست

على الكرسي بينما القى موسى جسده على فراشه مبديا فرحته برؤيتي واراد ان يعبر فرحه وسروره بكلمات الا انني بادرته بسرعة

- شبيك ويه عبدالحميد؟
- شبيه ويه عبدالحميد مابيه شي ليش شكو
- لم تخرج لزيارته للمرة الثانية بدعوى المرض واراك بصحة جيدة ولم اسمع انك كنت مريضا خلال الاسبوعين الماضيين انتبهت الى انني اتحدث بحدة وغضب مع موسى وشعرت بالاحتقار كيف اقف مع رجل غريب واتخلى عن زميل وصديق عزيز مثل موسى الشيوعي الطيب النبيل لماذا لم... وقبل ان اكل سؤالي رد علي بسرعة
- تشاجرنا في اخر لقاء وتهجمت عليه ورردته بقوة وغضب لم يكن موقفه جيدا من الحزب

قلت وانا احاول ان اكون منصفا وهادئا

- ولكن هذا لايستدعي ان تغضب منه ولاتستقبله بل لايستدعي الشجار اصلا
- على اية حال حصل ماحصل ربما تصرفت معه بقلة ادب
- ولم تحترم حرصه ورغبته المستمرة بزيارتك والاهتمام بك
- نعم كما تقول الان بدات اشعر انني تصرفت برعونة

قلت

- هذه ليس اخلاقنا كما تعلم كما هي ليست اخلاق الشيوعيين الذين عهدت فيهم العقل والتاني والكياسة وحسن التصرف لماذا تسرعت وتهجمت عليه وفوق ذلك تكون انت ابو الراهي وانت صاحب الحق كانما هو من هجم عليك واخطا بحقك
- نعم لقد اخطات بحقه ولم يكن علي ان اتصرف بهذا الشكل اذاعرف الحزب بذلك سيوبخونني وربما يغضبون مني بالرغم من موقف عبدالحميد الذي لن يقبلوا به ابدا بالرغم من انه ليس شيوعيا كما تعلم

- لا لا اعلم انه غير شيوعي ولايهمني ذلك مايهم هوان يقول ويعبر كل انسان عن رايه ذلك من حقوقنا اليس كذلك ايها الشيوعي المتمرس الستم من يدعو الى حرية الراي وحرية التعبير الى جانب مطالبكم بالحرية الشخصية وغيرها
- نعم استاد

كان موسى يتحدث معي كما يتحدث تلميذ في الابتدائية من معلمه الذي وقف يوبخه على تصرفه المتسرع والارعن مع عبدالحميد لم اشا التحدث مع موسى بهذا الشكل كنت احاول ان ابقي صوتي منخفضا حتى لايسمعنا الشباب الذين بدؤوا بالعودة الى القاعة ويجلس كل واحد في فراشه تاركا عينيه واذنيه مصوبتين نحوفراش موسى ونحوي بالذات ماالذي يجري مابال الاستاذ يكاد يوبخ موسى بهذا الشكل اجبرت نفسي على خفض الصوت صوتي فقط لان موسى كان صامتا وراسه منحنية الى حضنه ويداه تعبثان بالمنشفة التي ولطول بقائها على فخذيه بعد ان انزلها من على راسه قد نقلت كل رطوبتها وبللها الى الدشداشة الخفيفة وبسبب خنوع وضعف موسى وعدم رده علي او دفاعه بشكل صحيح واعترافه بخطئه وسوء تصرفه مع صديقه عبدالحميد رفع راسه مثل تلميذ ينتظر العقوبة فقلت له وبصوت خافت وسخيف

- موسى عيب كلش عيب تدري عبدالحميد ماجاب اي طاري لهذا الشجار بل بالعكس قبل ان يغادر طلب مني نقل تمنياته لك بالشفاء العاجل متمنيا ان يراك قريبا بعد ان تبرا من مرضك وان نجلس ثلاثتنا الى طاولة واحدة لنتحاور ونتحدث في مواضيعنا الادبية والثقافية ارايت مثل هذ الاخلاق انتما في سن واحدة كما اعتقد ومثقفان ومفكران ولديكما خبرات وتجارب كثيرة كما اعتقد اليس من المعيب ان تختلفا لسبب تافه مثل هذا السبب او بالاحرى بسبب راي وقبل ان استرسل وانا استرسل عادة اذا لم يقاطعني احد قال
- اني حاضر استاذ لاي شيء تكوله

- تعتذر
- ولكن نعم نعم اعتذر بكل سرور الخاطرك ولكن وجها لوجه ستكون صعبة علي ستكون صعبة اذا عرف انني تعمدت الابتعاد عنه وادعيت كذبا المرض
- اكتب له رسالة
- بعد ان صفن موسى قليلا سارحا ببصره في وجوه بقية الزملاء الذين عادوا تدريجيا وواحدا بعد الاخر الى ماهم عليه من حديث وانشغال بشيء ما وبعد ان وجدت انها فرصة للضغط على موسى واجباره على كتابة رسالة الاعتذارحاولت القيام الا انه وضع يده الرطبة على عضدي وقال
- اشكرك استاذ ريحت بالي كان هم ثقيل وانزاح هذا احسن حل كتابة رسال فقاطعته وانا مستمر بالنهوض
- رسالة اعتذار ياموسى
- نعم نعم رسالة اعتذار صار حاضر ساكتبها قبل ان يحين موعد الزيارة القادمة
- جيد
- لم اسال الدكتور موسى عن مشكلته مع عبدالحميد وكان الاستاذ عبدالحميد من اللباقة والفطنة والنباهة وحسن الذوق انه لم يتطرق الى ماحدث بينه وبين الدكتور موسى ليس لانه اعتقد ربما انه من غير المناسب ان يشير الى ماحدث بينهما ولكن لانه لم تكن مناسبة تسمح بالتطرق الي ماحدث وماحدث كما اخبرني الدكتور موسى انهما وفي اخر زيارة لعبدالحميد الذي كان ممتعضا وغاضبا كما يقول موسى قلت وانا غير مهتم
- لماذا لماذا كان ممتعضا وغاضبا
- كما تعلم بسبب اتفاق الحزب مع الحكومة على تسوية الخلاقات بينهما والتوصل الى تشكيل الجبهة الوطنية القومية الاشتراكية قلت
- اي وشنو كان راي عبدالحميد

- عبدالحميد لم يكن راضيا على هذا الاتفاق وتحدث معي بحدة كانني انا المسؤول عن الاتفاق مع حكومة البعثيين كان مستاء جدا وغاضبا قال لي مؤنبا
- دكتور موسى كيف سمحتم لانفسكم ان تتفقوا مع هؤلاء؟ انهم قطاع طرق ومجرمون وسفلة
- حتى بوجود الدكتور سعدون حمادي وغيره من الشخصيات التي تحظى باحترام الجميع؟
- سعدون وغير سعدون موجودون معهم لتحسين صورتهم امام العراقيين وحسب انهم مكروهون, كل الشعب العراقي يكرههم منذ انقلابهم على عبدالكريم قاسم الزعيم المخلص الشريف نحن لانحبهم ولانريدهم ولانثق بهم انهم غدارون ولايؤتمنون ابدا وانت تعرفونهم اكثر منا ومافعلتموه كان خطئا كبيرا بل اثما كبيرا بحق الشعب العراقي الذي لن يغفر لكم هذه الخطيئة ابدا

استغرق الدكتور موسى ثلاثة ايام لكتابة رسالة الاعتذار وكان الرفاق في القاعة يمرون بي لتزويدي بالموقف اليومي بل عن ما يحدث كل ساعة ومنها انهم كانوا يلعبون الدومنة وعيونهم شاخصة الى الدكتور مهدي الذي استغرق طويلا في كتابة الرسالة فما كان من شاكر الشقندحي المرح ان رفع صوته موجها الكلام الى موسى قائلا وبصوت عالي

- دكتور ماتحتاج الى مساعدة ؟

فضحك الجميع لعلمهم ان شاكر لم يكمل الخامس الابتدائي ولكن لديه فعلا خط جميل اطلعت عليه لاحقا عندما طلبت منه ذلك وما ان انهى شاكرعرضه حتى خاطبه كاظم الذي كان مشغولا بما يملك من احجار الدومنة

- انجب لك انت لو بيك حظ جان كملت الابتدائية قبل ماتصير بحزب الدعوة ال,,, وقبل ان يكمل صاح اخخخخ لان احدهم قرصه في خاصرته لئلا يكمل كاظم عبارته ويقول العميل بعد ان

تيقن الجميع من انتماءات وولاءات كل واحد منهم واصبحوا حذرين جدا فيما يقولون واصبحوا لايتحدثون في السياسة مطلقا ولا في الدين ذلك كان اخطر ما في حياة العراقيين في كافة العصور والازمنة اضاع الكثيرون حياتهم بسبب صراعاتهم وجدالهم حول السياسة والدين ومازال الخبر الاثير والمعلومة الاكثر رواجا ان العراقيين وبعد 1400 سنة مازالوا يتشاجرون ويصرخ بعضهم على بعض ويضرب بعضهم بعضا ويسبون بعضهم البعض ويشتمون ويلعنون ويجرحون بعضهم البعض بسبب رجلين عاشا وماتا قبل 1400 سنة والخبر هو قول الشيعة باحقية علي بن ابي طالب بالخلافة ودفاع السنة عن عمر بن الخطاب وابي بكر وعثمان وعائشة وحفصة كلما اعتقدوا ان الشيعة سبوا او لعنوا ايا منهم واطلقوا على هذه المناكفات التي لا تنتهي ابدا اسم الطائفية

وظل عبدالحميد يختم كل رسائله الموجهة لي بهذا السؤال الجدلي المرعب : هل انت سعيد ؟ ومنذ رسالته الاولى التي حسبت انها ستكون رده على رسالة الاعتذار التي كتبها دكتور موسى بناء على طلبي والتي سلمتها اليه في اول لقاء بعد اتفاقي مع موسى على كتابتها والتي قراتها في غرفتي اكثر من مرة ولم اجري عليها اية تعديلات لاني رايت انها ستكون اكثر مصداقية واكثر اقناعا مادامت بكلمات وبخط الدكتور موسى والغريب ان عبدالحميد لم يقم بفتح الرسالة امامي ناهيك عن قراءتها لقد طواها مرتين ووضعها في جيبه وانا مندهش ومتعجب, كان هناك المزيد من وقت الزيارة وكان بامكانه على الاقل الاطلاع عليها او قراءة شيء منها ولكنه لم يفعل وعندما وجدني متعجبا وغير راضي قال وهو يبتسم ساقراها في البيت ولكنني لم اقتنع باجابته ولا بموقفه وطلبت منه ان يطلع عليها ولو لدقيقة فقط ولكنه لم يعرني اي انتباه بل استمر في حديثه الذي بدا به حالما جلس امامي بعد ان غادرت زوجتي التي لم

تبق طويلا واكتفت بتسليم قدر الدولمة الصغيرلانها عرفت ان عبدالحميد قادم من اجلي لذلك اثرت المغادرة واجلت كل اخبارها الى لقاء اخر وبعد هذا اللقاء وبعد ان كتب لي عبدالحميد انه غير راض عن تصرفه في الاستحواذ على وقتي مع زوجتي وشعوره بالعار كما يقول اثر كما اقترح ان تستمر لقاءاتنا عن طريق الكتابة بعد ان عرف انني مولع بالتعبير عن ارائي وافكاري عن طريق الكتابة بادر وبشكل مفاجيء ان نستغل هذه الموهبة في التعبير عن ارائنا ومواقفنا عن طريق المراسلة حيث ظل مواظبا على الحضور في موعد الزيارة المقرر ليقوم بتسليم رسالته لي لاحد الزوار الذي تعرف عليه اثناء فترة الانتظار وساله عن امكانية ايصال رسالته الي ووافق الرجل وبقيت استلم رسائل عبدالحميد اسبوعيا وكانت كل رسائله كما قلت يختمها بالسؤال التقليدي هل انت سعيد؟

- رائع كانني اشاهد بيكاسو يغني
- تقصد يرسم
- لا
- اذا لم تعجبك حياتك غيرها
- كيف
- لا ادري اسال سارتر
- سارتر مات اليس كذلك
- نعم مات منذ زمن طويل

كانت هذه بعض حواراتنا انا وعبدالحميد الخبير بانتقاء العبارات والمواضيع التي تثير التفكير والتامل

- لماذا لايتحدثون عن الموسيقى مثلا؟ هل سمعت احدا يحدثك عن الفلسفة او الموسيقى او الادب بشكل عام هل جاءك احد ما وسالك عن رأيك برواية مئة عام من العزلة لماركيز قلت قبل ان يسترسل عبدالحميد

- اظنك تذكر راي الفيلسوف شوبنهاور الذي كان يرتاد المطعم الذي يقع تحت شقته
- نعم كيف لا اتذكر ذلك انني كثيرا ما استشهد به في حواري مع الاخرين هل تظن ان شوبنهاور كان مبالغا
- لاابدا بالرغم من ان الواقعة حدثت في المانيا كما يبدو ويفترض بالاخرين الذي يشاركونه الجلوس في المطعم ان يتمتعوا بشيء من الثقافة ليتحدثوا او يتناقشوا في امور اكثر اهمية من الاحاديث التافهة التي مل وسئم منها شوبنهاور
- يبدو لي ياعزيزي ان هذه المشكلة تسري وتشمل معظم مجتمعات العالم وربما كلها ليس بسبب نقص الثقافة لدى هذا المجتمع او ذاك ولكن بسبب الاهتمام والمشاغل تعلم ان الناس لايهمها غير هموم العيش ومشاغل الحياة
- نعم اعرف ذلك

سألني كاظم السؤال القليدي الذي يدور في ذهن ويترددعلى لسان الجميع سواء من المسجونين او من زوارهم ولاني لا اعرف الاجابة على مثل هذه الاسئلة وربما لاني لا اسال نفسي هذا السؤال

- استاذ تعتقد ممكن نطلع من السجن
- لا ادري يا ابوحيدر حقا لاادري
- ماذا فعلنا ليحدث لنا كل هذا

ولان كاظلم كان سيستمر في طرح واعادة طرح هذا السؤال ولاني لم اكن مستعدا لسمفونية العذاب التي يلهج بها الجميع واعني بها

- عزيزي كاظم لكل شيء وقت كما يقول اريك ماريا ريمارك وقت للحب ووقت للموت ماذا لو خيرت بين ثلاثين سنة اخرى من العمر هنا في هذا المكان او الخروج الان الى الجحيم هناك ؟
- لماذاانت راض هنا تبدو مرتاحا دائما
- الا ترى اننا هنا بلا مسؤوليات وبدون واجبات نحن بلاواجبات ياكاظم فكر بهذا منذ ان دخلنا الى هنا ونحن لانفعل شيئا الجهد الذي نبذله هو اثناء التغوط عندما نتذمر بسبب الامساك هذا هو كل ما نفعله ونبذله من جهد نحن لانفعل شيئا لاننا لا نعمل اننا في حالة سكون مستمر انا متعب قليلا لاني افكر وانت متعب لانك مللت من البقاء هنا لانك تفكر بالخارج للالتقاء بالاصدقاء والخروج معهم يوم السبت من كل اسبوع لتلعبون النرد او الدومنه وغيرك لديه اشياء اخرى يود فعلها في الخارج يبحثون

عن التعب ربما يحبون تعبهم يحبون ذهابهم الى العمل كل يوم في ايام البرد وايام الحر وتعرضهم للشمس في صيف العراق القاسي ومواجهة لؤم مدرائهم وخباثة زملائهم في العمل ونظرات الاشتهاء التي يرونها في عيون زميلاتهم وهن يقضين اوقات الدوام عين عليهم وعين على النقال الذي لايفارقهن لحظة ويحبون ان يمرضوا كل شتاء ليرقدوا في اسرتهم لبضعة ايام لايتناولون الا الشوربة الساخنة والبابونك وعدد من حبوب الالتهابات وخافضات الحرارة وانتظار يوم الجمعة الذي غالبا مايصبح مزعجا ومملا منذ ساعات الصباح الاولى التي تبدا بصراخ وضجيج الصغار يملا المنزل وشكوى الام وسبابها احيانا لاولادها اكعد ولك وانجب واكل خره وابن الكلب وطيح الله حظك قبل ان يتجرا على طلب فنجان القهوة الذي تعود عليه اثناء الدوام الذي ياتي به اليه الفراش ابو غازي

- ولكننا نفتقد اشياء كثيرة كما تعلم
- لانفتقد شيئا نعم ربما بعض الاشياء ولكنك لو فكرت بالامر قليلا وتساءت عن مدى حاجتك لهذا الشيء او ذاك الشيء ستجد انك لاتحتاج الى اي شيء ابو حيدر الا ترى ان من منافع وجودنا هنا ان الجميع ياتي لزيارتنا والكل يسال عنا والاهم من ذلك اننا نحصل على كل مانريد انهم الذين في الخارج يلبون كل طلباتنا عندما يشتهي بعضنا بقلاوة الحاج جواد الشكرجي او رعد الشكرجي او باب الاغا وتطلبها من احدهم الا ياتي لك بها في الزيارة التالية ومعها اشياء لم تطلبها ولم تفكر بها ناهيك عن زوار العتبات المقدسة الذين ينقلون الينا الكثير من منتجات المدن التي تتواجد فيها هذه المراقد الساهون من كربلا والدهين من النجف والحلاوات بانواعها وغيرها ياكاظم حتى من لم يستطع الحصول على هذه الاشياء عندما كان في الخارج حصل عليها هنا ثم اننا لو تعلم في امان مستمر هنا امان لاتحص عليه عندما تكون في الخارج حتى مع اقرب الناس اليك زوجتك

مثلا وهنا لاحظت ان تعبيرا عن الاسى قد علا وجه كاظم وهو ياخذ وجهه بعيدا عني حالما ذكرت زوجته ولكني كنت مستمرا في الحديث

- ومع الاهل والاقارب والمعارف والاصدقاء والجيران والزملاء في العمل الخ ولكن الاهم من كل ذلك هو الامان من الدولة ومؤسساتها المختلفة هنا ليست لديك اية علاقة مع الدولة اذن انت في منجى من شرور الدولة كلها خاصة اذا كانت علاقتك طيبة مع ممثلي الدولة هنا فانك ستكون بخير حتما ولان كاظم كان يهم بمقاطعتي لاحظت ذلك قبل ان يفتح فمه لان جسمه راسه ويداه واحدى ساقيه كانت تهم بمقاطعتي الا انني لم اسمح له ان يوقفني لاني اعلم كما اخبرتكم انه لن يتوقف ابدا وسيقلب الامر الى المزاح مرة اخرى بل في كل مرة اوقفته بالسبابة ومستمرا بالحديث
- هل تريد ان اسرد لك عددا اخر من المنافع والايجابيات هنا وقبل ان يوافقني على كلامي قلت
- الا تلاحظ ان الجميع هنا يحبك واولهم انا انا احبك بصدق ولا اظن ان احدا يمكنه ان يكرهك او يحقد عليك هنا ولكن هناك في الخارج كم لديك من الحاقدين والكارهين البعض تعرفهم والكثيرين تعتقد انهم محبين ولكن لاتدري حقيقة مشاعرهم وانت هنا بلا ديون لست مدينا لاحد ولااحد مدين لك وانت هنا بعيد عن ثرثرة ومطالب الزوجة التي لاتنتهي وطلبات الابناء وهموم العائلة ومسؤولياتك الجسيمة كزوج واب انت هنا في اجازة ربما تكون طويلة وهذا افضل او قصيرة وهذاافضل ايضا بالنسبة للكثيرين الذين يودون مغادرة هذا المعتقل حيث لايذكرون منه الا السلبيات معاملة ابو مشتاق السيئة وتنمر الحرس وابتزازهم المستر وسوء معاملتهم لكم جميعا
- ولكن هنا يا استاذ هنا الموت حتمي نحن في عداد الموتى سنموت حتما لا احد ينكرذلك ان مصيرنا بيد كل واحد من

المسؤولين عنا بيد ابي مشتاق او بيد محسن او بيد فاضل او حجي خالد ابو مصطفى هؤلاء مسؤولون عن موتنا وسنموت حتما على ايديهم بامر من السلطات العليا او بدونه لقد سمعنا الكثير ممن سبقونا في المعتقل ماتوا لاسباب تافهة شجار سخيف على امر سخيف الكثير منهم ماتوا لانهم لم يستجيبوا للاوامر لانهم لم يسمعوها لسبب ما لانه لم يسمع الامر جيدا او لم يكن واضحا لديه طبيعة الامر الذي لم يسمعه جيدا فانه فقد حياته بضربة عصا غليضة من قبل حجي خالد الذي لم ينتقم منه احد لانه كما علمنا اختفى بعد هذه الحادثة ولم يسمع به احد بعد ذلك هذه ياسيدي واحدة من عشرات الحوادث التي تسببت في موت العشرات من المعتقلين الذين كانوا ينتظرون احالتهم الى المحكمة المختصة للنظر في القضايا المتهمين بها

- نعم ياكاظم ماتقوله صحيح جدا وانا سمعت ببعضها قبل اعتقالي
- اتعلم ماالذي يؤلمني ياسيدي ليس الموت لا ليس الموت انا لاافكر به لااخافه ولا اخشاه الموت سهل اليس كذلك سهل جدا الحياة هي الصعبة ما اخافه حقا هو التفكير في ان هذا الصباح سيكون اخر صباح وهذه الصلاة ستكون اخر صلاة واخر وضوء انا ابقى مستيقظا انظر الى رفاق الغرفة واحدق في وجوههم النائمة هل ساراهم مرة اخرى هل سارى شاكر مرة اخرى هل سارى الدكتور موسى لا اريد ان احدثك عن السماء والقمر والنجوم لاني او لاننا لانراها كما تعلم اعرف انني اكون احمق احيانا واتمادى في المزاح واضحك كثيرا احاول ان اسعد الاخرين احبهم عندما يكونون سعداء احب ضحكهم وابتساماتهم وفرحهم اشعر بفرح كل واحد منهم واعرف كيف اجعلهم سعداء ولكنني كلما بقيت لوحدي بعد ان يغفو الجميع اشعر بالاسى والالم بان كل ذلك سيختفى فجاة عندما ياتي ابو مشتاق ليسحب احدهم الى مصيره المحتوم الموت سياتي حتما انه ات لامحالة

- كاظم
- الموت في اجازة , الموت في اجازة, لكنه سياتي حتما اقول لك انه ات لاشك ات
- كاظم ارجوك
- هادم اللذات ات اقول لكم انه ات لامحاله ات ات ات
- ابو حيدر ارجوك تماسك , ماهذا التشاؤم , فكر , فكر بمصاب ال البيت , فكر بسيدنا الكاظم , الم يعش في سجن طويل , مابك ياعزيزي لاتفقد اعصابك هكذا كلنا ميتون , اعرف انك مؤمن وعقيدتك قوية فلا داعي ابدا لهذا الكلام لاداعي له ابدا عليك ان تتماسك وان تكون قويا , وعد الى طبيعتك اللطيفة المرحة ولاتفكر بهذا الامر حاول ان تهدأ
- ماذا افعل ؟
- مارايك ان تبكي قليلا البكاء جيد احيانا القليل منه يزيل الهم ويفرج عن الكرب ويهديء النفس ويطيب الخاطر, ابك ياكاظم ابك كلما شعرت بالضيق والغضب ابك قدر ماتستطيع وستجد ان همك قد زال وان بالك قد صفا وان كل ما كان يعكر صفوك قد انقضى ابك حتى يتبدد همك وتهدا نفسك

هذه كانت مشكلتي اذن

I don’t care

لم اكن اهتم بشيء ولكن ربما لاني اهتم بكل شيء عرفت ذلك بعد السبعين عندما لم احقق اي شيء لاني لم انخرط في اي شيء

-

- وفي المستقبل ربما المستقبل القريب سوف لن تكون مجبرا على توضيح وجهة نظرك

يحبني لايحبني يحبني لايحبني لم يكن ذلك مهما ان يحبني او لايحبني رغم صغري كنت اعرف ان الزيجات كل الزيجات لايمكن ان تحدث بهذ الشكل ولكنها تحدث لسبب ما والسبب معروف دائما عرفت ذلك عندما قلت له خذني الى السرير وكنت اقول في نفسي ارجوك اغتصبني اقتحمني ياحبيبي يارجلي فضني وافترعني هل قلت كل ذلك عندما كان يخلع عني اخر قطعة من ملابس العرس لم يبق الا اللباس الداخلي ياخجلي السخيف قلت له عندما كان ينظر الى صدري الممتليء بالرغم من نحافتي الواضحة كان وزني 47 كيلو فقط ولكن صدري كان ممتلئا وعظيما ورائعا ومنتصبا مثل الناقوس عارما متحديا بحلمته السمراء الداكنة لم ينظر الى وجهي ظل متشبثا بصدري ينتقل من ثدي الى ثدي ومن حلمة الى حلمة

- لنترك اللباس الداخلي قليلا دعنا نستلقي الان لاتشغل بالك به لن يصمد طويلا

ياويلتي هل قلت كل ذلك لن يصمد طويلا هل كنت انا التي تتحدث وعن ماذا تتحدث عن اللباس الداخلي وعن الافتراع واقتحمني وفضني هل قلت كل ذلك لا ادري لم اعد افرق بين ما كنت اقوله على لساني وبين ماكنت اردده في قلبي لقد تهت قليلا لم يقل شيئا كان مضطربا وقلقا وخجلا وتائها بعض الشيء كنت اشعر به يريدني ولكن لايعرف كيف قال لي بعد سنوات انه في تلك الليلة نسي كل شيء عن هذه الليلة الكشرة كما يسميها لقد قرا الكثير عما يجب ان يفعله في هذه الليلة قال لي اتصدقين اني حفظت الفصل الخاص بهذه الليلة بعد ان ترجمه احدهم من الموسوعة البريطانية ولكنني نسيته تماما عندما اصبحت عارية امامي لم اكن

جميلة جدا كنت نحيفة وبعض عظامي بارزة ووزني دون المتوسط بكثير فمي كبير ولوني اسمر وشعري عادي جدا لم اكن اعتني به كما تفعل الفتيات بل لم اكن اعتني بكل شيء يخص جسدي ولكنني كنت احب لون عيني كان لونهما بنيا وكنت احب ان انظر اليهما في المراة كنت اقول الحمدلله هناك شيء جميل قال لي اكثر من مرة احب النظر الى عينيك حافظي عليهما وكنت احافظ عليهما واعتني بهما من اجله ولكنه كان مخادعا كان ينظر الى صدري اكثر من اي شيء اخر اعرف انه كان يحب اشياء كثيرة في جسدي وكان هذا يرضيني ويمتعني  لاني لم اكن ذكية تماما رغم تفوقي قليلا في الدراسة وقدرتي على الاستيعاب الا انني وبسبب خجلي الشديد كنت لااتكلم كثيرا ولا ادخل في حوارات طويلة مع الاخرين كان هذا الخجل هو احد الاسباب التي جعلت الاخرين يعتقدون انني غير ذكية ولكنه كان راضيا لم يجعلني اشعر قط انني اختلف عن الاخرين لقد رضي بي تماما بكل شيء كان يحب ان يقبلني واحب كثيرا قبلاته التي كنا نتفق على ان نبقيها طويلا قليلا كنا نستمتع بذلك جدا كان شاطرا في التقبيل واحب ان يقبلني لانه كان يترك يده تتجول فوق جسدي تتحرك من منطقة الى اخرى وكنت انا افكر بيده اكثر مما افكر بشفتيه وطعم لعابه الحلو ولسانه الفاسق يتجول داخل فمي كنت دائخة بين لسانه ويده انه ليس تائها ويده تعرف المسار جيدا وتعرف اين سينتهي بها المطاف وكنت اسمح لها ان تتحرك بحرية تامة كنت احب جسدي وكنت اقول دائما الحمدلله ان خلقني انثى لم اكن اتفق مع شوبنهاور الذي كان يفضل جسد الرجل على جسد المراة ويعتبر جسدا المراة مقلوب جسد الرجل لكنه لم يكن يعلم ان الرجل يحتاج الى عناية خاصة لكي يمتلك جسدا جميلا الا تراهم يتسابقون لتنمية وبناء عضلاتهم ويمارسون كل الرياضات من اجل الحصول على التناسق المثالي لعضلاتهم ونحن بخلافهم لم نكن نفعل اي شيء تكفينا النعومة فقط كوني ناعمة فانا ناعمات كما تقول المراة العربية حين توصي

ابنتها المقبلة على الزواج ولاتريه مايسؤوه وحفظت المراة العربية وسواها من نساء العالم هذه الوصايا وطبقتها بحذافيرها لانها تعلم ان الرجل يحتاج الى اكثر من اغراء لياتي المراة لاتكفي نعومتها فقط يحتاج اكثر اعرف انه عندما كان يحدق في ثديي كان دماغه يفكر بمؤخرتي قلت له مرة

- لماذا لاتترك مؤخرتي وتفكر بشيء اخر قال
- مثل ماذا قلت
- هل تحب بنكرياسي او مرارتي او الاثنا عشري او زائدتي الدودية قال
- انتظري انت الان تقلدين سارتر هل تذكرين الفصل الاخير من روايته دروب الحرية

لقد كنت امراة عادية عادية جدا لم تكن لدي اي افكار او رغبات او طموحات لم اكن اقلق على شيء ما كان يومي يمر مثل اليوم السابق وغدا سيمر كهذا اليوم لاشيء جديد حتى بعد ان نضجت قليلا لم يكن يثيريني اي شيء كنا نستقبل الاصدقاء والاقارب في بيتنا الصغير شرق بغداد واستمع الى الاحاديث بين ابي والاخرين كنت اظن انني افهم مايقولون لكنني حالما اوي الى السرير كنت انساها تماما ولا افكر فيها ابدا نعم حتى بعد ان نضجت وقبل ذلك عندما حصلت على الدورة الشهرية وقيل لي انك اصبحت امراة الان لم اشعر انني تغيرت فعلا وانني اصبحت امراة لقد كنت امراة منذ ولادتي لم يتغير في شيء بسبب الدورة الشهرية نعم كنت مهتمة وقلقة بشانها لاني وبسبب طبيعة جسدي الضعيف كنت اعاني قليلا قبلها وخلالها واشعر بالالم والضعف طيلة ايام الدورة التي كانت ربما الشيء الوحيد الذي حصل لي خلال العقد الثاني من عمري كانت طفولتي عادية جدا بالرغم من وقوع بعض الاحداث فيها فبعد ولادتي بسنة كما قيل لي طلق ابي امي وارسلني واياها الى بيت اهلها في مدينة اخرى بعيدة عن العاصمة وبقيت مع امي قرابة السنة او اكثر قليلا لاعود الى بيت

جدي لابي بعد ان تقدم لامي احد الرجال بعد ان يئس من الحصول على الذرية رغم زواجه من امراتين ولما قيل له بان امي قد طلقت وقد رزقت بابنة تقدم لخطبتها فورا بل قيل لي لاحقا ان والد امي هو من عرضها على الرجل الذي كان صديقة منذ وقت طويل ولرد ادعاءات الناس حول عدم قدرته على الانجاب كيف يمكن ان اتذكر تلك الاحداث انا لا اتذكرها فعلا ولكني اتذكر عندما اخبروني بها لقد صارت جزءا من مهما من ذكرياتي ولوانها قيلت لي واخبروني بعد سنوات طويلة من وقوعها وبعد ان تزوجت وانجبت وسافرت وصارت لي ذكريات جديدة اتذكرها انا وحدي لم اكن افكر بالجنس الاخر اعني الرجال وكنت اظن انني لا اعرف شيئا عن علاقة الرجل بالمراة وان مايحدث بينهما غير واضح وغير مفهوم لان احدا لايعرف ماذا يحدث بين الرجل والمراة في غرفة النوم لم اكن افهم سر العلاقة بين ابي وامراة ابي وحالات السعادة والمرح والبهجة والسرور التي تعتري كل واحد منهما او حالات الكابة والغضب والحزن في اوقات اخرى الا بعد ان انتبهت انني كنت اسمع عرضا ودون قصد الى عشرات بل مئات التاوهات والصراخ المكتوم والشهقات التي تنم عنهما بعد ذهابهما الى غرفة النوم التي لم يكن يفصل بينها وبين غرفتي التي كانت تضمني واخوتي سوى فتحة كان مخططا لها ان يضعوا فيها بابا الا انهم تركوها هكذا وفصلوها بدولاب خشبي كبير كان راسي قريبا جدا من هذه الفتحة وكنت ارى اقدام امي عندما تنزل من السرير لتذهب الى الحمام او المطبخ وكنت اسمع تقريبا كل شيء حتى الحوارات التي لم يكونا راغبين في قولها امامي كان يؤجلانها الى موعد النوم كنت اسمع كل شيء وكنت انسى كل شيء عندما استيقظ صباحا اعتقد انني كنت احلم بشيء ما نعم شك انني كنت احلم بشيء ما ولكن المؤسف انني لا اتذكر احلامي لا اتذكر اي حلم ربما لم اكن احلم لاادري لقد حلمت باشياء كثيرة هل كانت تلك احلام ام رغبات طفلة عانت كثيرا من الاهمال وعدم

الاهتمام وربما النبذ لم ار امي بعد ان اعادوني الى بيت جدي لوالدي الذي اخذني بعد ذلك بعد زواجه مرة اخرى لاعيش في بيت ابي وامراة ابي ماتبقى من حياتي وانا عذراء لم استطع ان اتذكر امي لقد وصفوها لي كثيرا ولكنني لم استطع ان ارى ملامحها بالرغم من دقة الوصف ربما لاني كلما حاولت ان ارسم وجهها في مخيلتي اتذكر احدى قريباتي او اية امراة اخرى اعرفها لم اقل لا ابدا ولكني كنت في امان ليس لاني كنت اعيش في صندوق مغلق ولكن لان الاخرين احترموا هذا الصندوق ولم يقتربوا منه لم يساني احد عن رايي او عن مشاعري او افكاري حتى ضمن حدود الاشياء التي تهمني كطفة او كفتاة او كامراة واجهت الكثير من المودة والتعاطف لكنه كان تعاطفا غريبا عدم الاساءة لي يعتبر تعاطفا لم يتعرض لي ابي وعاملني بشكل طبيعي لم اكن اعرف فيما اذا يحمل افكارا خاصة حولي هل يحبني هل يكرهني هل يعتبرني عالة عليه خاصة بعد ان نمت عائلته مع امراته الجديدة التي والحق يقال لم تسيء لي ابدا لكنها لم تعاملني قط كابنة لقد كنت احبها واعتبرها اما لي كنت اقول عنها امي واخواتها خالاتي كنت اتصرف مثل ابنتها لم ابك قط لااتذكر انني كنت ابكي لقد كنت اصرخ وبصوت عال لم يكن يصل الى حنجرتي صوت قوي مليء بالاسى والالم والعذاب صراخ من نوع اخر صراخ لايريد ان يخرج بقي محبوسا طيلة اقل من عقدين وغضب عارم بقي كامنا في داخلي يخجل من الاعلان عن نفسه لقد كنت جبانة دائما ومترددة وشاردة وغير حاسمة هل كانت خياراتي قليلة كلا ابدا لم تكن لدي اية خيارات كانت حياتي سهلة وبسيطة وغير معقدة الخيارات كانت معدوة لاني كنت بلا متطلبات وبدون رغبات كان كل شيء في داخلي متوقفا لا اطالب بشيء ولا اريد اي شيء حياتي كانت سهلة وتركتها تمضي كما تريد لم اتدخل في توجيهها لم اعط رايا باي شيء ولم اقترح شيئا قط لم يسالني احد عن رايي او عما ذا احب وماذا اريد كانت اخطائي قليلة ربما لاني كنت بلا اخطاء لاني

كنت بلا مسؤوليات مباشرة وحاسمة باستثناء الدراسة التي كنت متفوقة بها كنت بلا اخطاء لم يحاسبني احد على مايمكن ان يكون خطا ابدا حتى ابي لا اتذكر انه عنفني او صاح بي او ضربني يوما ما او حتى عاتبني على تصرف ما كنت سعيدة عندما اتي له بشهادتي المدرسية يبدو سيعيدا وراضيا وكان ذلك يكفيني تماما عندما يرضى عليك الاب يرضى عليك الله كنت احب ابي رغم كل تصرفاته وسلوكه العنيف مع اهله وذويه لم يكن ودودا معهم لم يكونوا على وفاق تماما ربما منذ ان كان شابا في تلك المدينة البعيدة قبل ان ينتقلوا الى العاصمة اوائل الخمسينيات كان شابا جميلا جدا رشيقا ووسيما جدا كنت احب صورته ببذلته البيضاء وشعره الذي داب على تسريحه بدهن خاص كان مشهورا ايام شبابه يستعمله معظم الشباب ليعطي لهم مظهرا متميزا لااتذكر الان اسم هذا الدهن الذي ياتي عادة في علبة زجاجية صغيرة وبرائحة نفاذه تثير الانتباه ساخبركم باسمه عندما اتذكره كنت احب ابي وكنت احب الجلوس معه عندما نكون لوحدنا ولكننا لم نكن لوحدنا دائما لذلك حرصت على ان لا اثير الفتنة طالما كانت امراة ابي موجودة دائما لقد حرمت نفسي من هذه الميزة ان اكون الى جانب وجوار اب وام وظننت انني بوجودي قريبة من ابي فانني ساعوض عدم وجود امي بوجودي معه الا ان مجرد معرفتني بانني اعيش معه في نفس البيت اراه كل يوم واحيانا طوال ساعات النهار وانني انام في الغرفة المجاورة لغرفته واسمع حديثه وهمسه لامراة ابي واسمع شخيره بعد ان ينتهيا من كل تلك التاوهات حيث يغرق كلاهما في نوم عميق لانام بعد ذلك بعمق ورضا مطمئنة الى انه مازال ابي وانه مازال موجودا وقريبا مني اتذكره كثيرا واحب عندما ارى الاخرين يذكرونه سلبا او ايجابا احب ان اسمع ذكرياتهم عنه كيف انه بعد طلاقه من امي غضب عليه جدي اي ابوه الذي اختارها له لانه يعرف اباها لانهما عاشا في نفس المدينة وكان كما يقول البعض اختيارا صائبا كانت

امي طيبة وهادئة وعطوفة ومتسامحة مع الجميع لم يكن احد يتذكرها الا اذا سالتهم عنها او سال احدهم عنها لم يكن ابي يليق بها بسبب اختلاف طبيعة كل منهما هو سريع الغضب عنيف لايفكر وينساق وراء عصبيته وهي هادئة لايكاد يسمع صوتها واذكر انني عندما رايتها والتقيت بها بعد اكثر من عشرين عاما بقيت اسال نفسي لماذا شاء الله ان اكون بعيدة عن هذه السيدة الطيبة لماذا حرمني الله من الام من امي كنت اعتقد ان كل مصائبي واحزاني والامي كانت بسبب عدم وجود ام ولكن انتبهت مؤخرا وبعد ان التقيت بها وبعائلتها زوجها وابناءها منه ان الله شاء حرماني منها ليعوضها برجل نبيل وهبها كل شيء ووفر لها كل ماتبغي وتشتهي وعاشت معه كما علمت في بحبوحة ورخاء لقد كان طلاقها نعمة وخيرا لها حرمها مني وحرمني منها ليهب لها زوجا طيبا ذي سمعة طيبة ومكانة مرموقة في بلدته الصغيرة كان تاجرا ناجحا استطاع ان يكون ثروة جيدة خلال سنوات وترك لها واولادها ارثا طيبا مازالت هي وبناتها واحفادها يعيشون ويتنعمون ويعملون بميراث هذا الاب المكافح المتفاني فيما عاش ابي بعدها في عوز وضيق وحاجة مستمرة لم اره متنعما ابدا ظل موظفا بسيطا وباجر زهيد في احدى دوائر الدولة التي يلجا اليها غير الحاصلين على شهادة جامعية لقد كنت اراه يعمل بجد هو وامراته في عمل الملابس النسائية التي يخرج بها بعد عودته من العمل الوظيفي ليعرضها في احد اسواق العاصمة الخاصة بمشتريات النساء ليعود في وقت متاخر من مساء ذلك اليوم مجهدا متعبا ولكن فرحا بعض الشيء لانه تمكن من بيع بعض القطع حيث يكون بامكانه شراء قماش جديد يقوم هو وامراته بتفصيله وخياطته ليخرج مرة اخرى الى السوق يعرضه على الفتيات والنساء في ذلك الشارع العجيب . كان المي هو مصدر قوتي الوحيد لم اكن اعرف ذلك كانت الالام كثيرة كنت اعالجها بالصمت والتحمل والتجاهل كان الالم ياكلني من الداخل الم

التجاهل والشعور بانني نكرة وانني موجودة لان علي واجبات يجب ان اقضيها واقوم بها ليس لان لي حقوق لا ولكن واجبات يجب انجازها وكانت تلك الواجبات سببا في بقائي صامدة صمت بها وتحملت من اجلها واجبات تافهة وحقيرة يجب القيام بها من قبلي كل يوم واجبات الابنة او ابنة الزوج كان مشروع الدشاديش النسائية المصنوعة اكثرها من قماش الكريشة هو المشروع الثاني لوالدي الذي وكما اعتقد انبثق فجاة وبدون تخطيط حيث استيقظنا يوما لنجد امامنا ماكنة خياطة كهربائية حديثة وبضعة امتار من قماش الكريشة بالوان واشكال متعددة ويبدو ان امراة ابي كانت تعرف شيئا ما عن الخياطة كانت دون العشرين فتية وجميلة بملامح عربية بحته وكنت اراها متحمسة لهذا المشروع الذي وقع تنفيذه على عاتقها حيث تولت هي مهمة الخياطة بعد ان يقوم ابي بالتعاون معها على فصال الدشداشة وبالعدد الذي يتفقان عليه مسبقا لتبقى هي بعد ذلك ولوحدها تعمل بجد ومثابرة على خياطة كل ماتم فصاله ليقوم ابي بمهمة بيعه في شارع النهر احد اشهر شوارع بغداد الذي كان منفذا رئيسا للعوائل تتسوق فيه مايحتاجونه من ملابس ومستلزمات خاصة بالعرائس او بالفتيات عموما كان مشروع الخياطة هذا هو المشروع الثاني لابي حيث سبقه مشروع اخر هو مشروع الكتاكيت لم يتحرش بي احد ربما مرة واحدة عندما كنت حاملا بابني البكر صاح احدهم من سيارة مارقة من نفخك ؟ لم اشعر بالغضب قلت في سري طاحظك ولم اشعر بالغضب لان احدا لم يتحرش بي كنت اسمع عرضا طالبات المدرسة معي يتحدثن عن التحرش خاصة بعد عودتهن من المدرسة فرادى او جماعات يتحرش بهن الجميع واتذكر انهن كن يتمتعن بذلك ويعجبهن الامر كثيرا كنا عندما نتجمع صباحا في ساحة المدرسة لاداء طقوس اليوم المدرسي المعتادة وقبل ان تظهر مديرة المدرسة وحولها المعلمات بوقت طويل تسال احداهن الاخر ها بشري تحارشوا بيج اي هل تحرش بك احد امس وهنا

كنت استمع لقصص عجيبة عن التحرش كنت في البداية اصدق مايقولن ولكن بمرور الوقت وجدت ان اكثر هذه القصص من نسج خيالهن وحسب كنت اعرف حتى وانا في تلك السن ان التحرش لا يتم الا لوقائع تستدعي التحرش وتدفع بالرجل الى التحرش مثل الجمال وبياض البشرة والطول والامتلاء والنحافة حسب ثقافة الجمهور وجمهورنا كما علمت لاحقا لايحب الا الممتلئات خاصة في بعض المناطق مثل الردفين الذين يعتبران هنا بالذات الداعي الاول لمن يريد ويرغب بالتحرش كان هذا يسمى تحرش الشارع وفيه قصص عجيبة لايمكن تذكرها وحسب وهناك تحرش العائلة اذا كان فيها اخ كبير ومنه ايضا تحرش الاقارب كابناء العمومة وغيرهم المهم انني لم اعرف التحرش على كافة المستويات ربما لانني لم اكن امتلك المتطلبات الحقيقية التي تستدعي التحرش عندما انظر الى بعض صوري القديمة كنت ارتعب منها كيف قبل ان يتزوجني هذا الرجل الم يشاهد صوري هذه لعله لم يرها او لعله راها وغض النظر عنها او نسيها او انه قبل ورضي بشكلي الجديد بعد ان بلغت الثامنة عشرة كنت اعلم انه عند كل نهاية هناك بداية جديدة لم اكن املك اية ثقافة, ناهيك عن المعلومات والمعرفة. كان الغرض من دخول المدرسة هو النجاح وحسب كل ماعرفته لاحقا جاء منه وعن طريقه حفظت اسماء الروايات والكتب التي كان يقرؤها واسماء السمفونيات والسوناتات التي ظل يستمع اليها كانت المعلومة تاتي الي دون قصد كنت مختبئة وراء تجاهل الاخرين لي لايسمح لي بالحديث او ابداء راي اوقول اي شيء حتى امراة بي لم تسمح لي بملاحظتها والتعلم منها كنت بحاجة الى امراة ترشدني امراة اتعلم منها كنت وحدي في عالم لايسمح لي بالحديث عالم حقير يحب المستضعفين والمساكين مثلي لم يكن احد يسمع صوتي اعتقد انني تكلمت بعد سنوات طويلة بعد زواجي بسنوات بدات اتعلم الكلام وابدي الملاحظات لزوجي وابنائي بعد ذلك بعد ان اصبحت لي غرفة نوم خاصة بي

وسرير ومنضدة زينة ودولاب لملابسي واشيائي التي بدات تنمو سنة بعد سنة بعد ان كنت لا املك اي شيء اصبحت املك اشياء كثيرة كل ذلك حدث بعد الزواج نعم الزواج يجعلك تمتلك اشياء كثيرة وكانت تلك الاشياء مصدر سعادة لي بعد حرمان طويل كنت اشتهي بعض الاشياء واود الحصول عليها وكنت احب ان يهديني احدهم شيئا كانت اغلى هدية حصلت عليها هي ساعة يدوية جاءتني من جدي لابي بمناسبة نجاحي في احدى المراحل الدراسية لا ادري اين اصبحت تلك الساعة ربما تركتها لسبب ما في بيت والدي بعد ان انتقلت للعيش مع عائلة زوجي وهناك كانت حياة اخرى كنت انتظر حلول الظلام وذهابنا الى النوم كنت احب النوم المبكر وكان زوجي يحب النوم مبكرا منذ ان كان فتى كنا نعرف انه كان ينام في وقت مبكر بعد ان يقضي ساعات طوال في القراءة يقول عندما لايكون هناك من شيء افعله يكون النوم هو العمل الاخير وكنا ندخل الى سريرنا بشغف ولهفة كنت اعرف ماذا سيحدث لاحقا تلك المتعة التي تعرفت عليها ليلة الدخلة اصبحت تحدث كل ليلة وكنت ادعو الله ان لايحرمني منها ابدا لقد تمتعت كثيرا في ذلك السرير لقد شهد وعلى مدى سنوات الكثير من اللذات التي حصلت عليها يوما بعد يوم كانت تلك اللذات التي كثيرا ماتاخذني الى بلوغ النشوة **orgasm** التي اكتشفت بعد وقت ليس طويلا انني لا استطيع الوصول اليها الا بوضعية الفارسة اي ان يتمدد الرجل على ظهرة وتجلس المراة فوقه كما لو انها تمتطي فرسا وتقوم هي بالتحرك صعودا ونزولا او الى الامام والى الخلف حتى تاتي النشوة لقد كتبت لاحقا مقالا حول موضوع لماذا يقوم الرجل بما يسمى بالخيانة الزوجية اكثر من المراة وارسلته الى احدى المجلات العربية المختصة بالمراة ولكنهم لم ينشروه لاسباب لااعرفها قلت في تلك المقالة ان المراة لاتجازف كثيرا بالخيانة لانها لاتضمن حصولها على النشوة كما يعرف الرجل انه سيحصل عليها حتما لان النشوة التي يحصل عليها الرجل تاتي

عن طريق القذف وهو امر مؤكد عند الرجل. كنت احب الاخرين كما هم عليه كانت براءتي تجعلني محبوبة ومرغوبة جدا ظل يسالني بعد اربعة عقود من المعاشرة هل فعلناها هنا هل فعلناها هناك هل فعلناها في الحمام وكان جوابي دائما نعم فعلناها في كل مكان وطبقنا كل الوضعيات بما فيها واحدة او اثنتين اخترعناها انا وانت هل تذكر اه نعم ياعزيزي فعلنا كل شيء كنت اتركه يفعل مايريد ولم اكن اعترض بل انني كنت كما اتذكر اقوده الى الطريقة التي اريدها او يريدها هو بما يزيد من لذتنا المشتركة وكانت الطريقة الفرنسية **The doggy style**(*الوضعية الفرنسية والمعروفة ايضاباسم الوضعية الخلفية وهي التي تقضي بان يكون الرجل خلف الزوجة خلال عملية الايلاج بينما تكون هي في وضعية اشبه بالركوع* )

كنا نسميها طريقة الشيخ محشي وهي اكلة عراقية كما تعلمون يحبها الكثير من العراقيين واظن ان لاعلاقة لها بهذه الوضعية ابدا ولكننا في وقت ما ولسبب ما ابتكرناها من اجل المزاح ولكنها بقيت معنا الى ان توقفنا عن فعل هذه الوضعية بعد ان تقدم بنا العمر وبدانا نتخلى عن الكثير من الوضعيات التي كنت احفظ اسماءها قبل ان احفظ اسماء الروايات التي كان يقرؤها انا كارنينا والحرب والسلام والدون الهاديء ومؤلفو الموسيقى الكلاسيكية شوبان وبيتهوفن وموزارت وريمسكي كورساكوف صاحب شهرزاد وجايكوفسكي مؤلف بحيرة البجع ووصل بي الامر الى حفظ بعض اسماء الفلاسفة مثل نيتشة وليبنز واسبينوزا وغيرهم لم اكن اقرا ولا اشاهد التلفزيون الا عرضا عندما انتهي من غسل الصحون الخاصة بالعشاء وقبل ان ينتهي فيلم السهرة على القناة العراقية كنت اشاهد غالبا نهاية الفيلم قبل ان يظهر المذيع ويقول كافي عاد روحوا ناموا وتصبحون على خير كنت جاهلة بارادتي كاني كنت احب وارغب واود ان اكون جاهلة ولا اعرف شيئا كانت القحاب العاهرات حولي طوال الوقت ولم تقل لي ايا منهن ماذا يجب ان افعل في تلك الليلة لقد

جرت العادة كما علمت بعد ذلك ان تقوم الام او يقوم مقامها ان تعلم ابنتها قبل واثناء وبعد الزواج كل مايتعلق بعلاقتها بالرجل لان هناك تفاصيل لاتتعلمها الفتاة من تجربتها الخاصة لم تخبرني ايا من تلك العاهرات عمات وخالات واقارب وجيران واصدقاء لم تقل اية واحدة منهن خاصة ممن كنت اودهن واحبهن افعلي كذا ولاتفعلي كذا لقد تعلمت كل شيء لاحقا مع زوجي الذي تعلمت معه كل شيء كانت السعادة التي حظيت بها وتمتعت كانني صحوت من نوم طويل وكان ذلك رائعا استيقظت فجاة لاجد نفسي تحته تماما يحدق في وجهي وانا غير خجلة وانظر اليه مثل عاهرة تطلب المزيد لم اكن اشعر بالبراءة معه كنت اقترف الفواحش كلها معه على مدى اربعة عقود مثمرة حبلني اكثر من مرة وامتعني حد النشوة الاف المرات كان استيقاظا رائعا لقد صحوت بعد سبات طويل نسيت طفولتي المريرة ومراهقتي البائسة وعنفواني نهاية العقد الثاني نسيت كل شيء بعد ان اصبحنا عاريين تماما ونعلم ان الجميع في الخارج في الرصافة وفي الكرخ في بغداد كلها والعراق كله يعلم ماذا سنفعل خلال الساعات القادمة وماكنا سنفعله تكرر الاف المرات بوجود او عدم وجود الكوماسوترا كنا نطارد اللذه ونحصل عليها متى واين شئنا مادام قضيبه اللطيف يستجيب لكل نداء ويلبي كل دعوة كنا نستغله تماما قال لي انه توقف بعد اول قذف عن الاحتلام الذي كان يلازمه طيلة شبابه ومراهقته ولم يعد اليه الا بعد ان سنوات عندما توقفت عندي الرغبة في ممارسة الجنس لاعتبارات واسباب تتعلق بالنساء عندما يبلغن سن الياس ومابعدها لم تكن لدي اية مواهب كان ضعفي هو موهبتي الوحيدة كنت احب ان اكون ضعيفة شيء من المازوكية اليس كذلك ونعم كنت جبانة وخوافة جدا اخاف من كل شيء لا ادري كيف استطعت ان اتمدد على ظهري واثني ساقاي وارفع ركبتاي حتى صدري ليستلقي فوقي وامكنه من ادخال قضيبة اللطيف داخل مهبلي هل كانت تلك شجاعة لا ادري ولكن تبين ان كل النساء يفعلن ذلك وينفذن كل الوضعيات حتى الصعبة منها هل كان كل ذلك شجاعة كنت

اظن ان ذلك يشبه الفسق وكأن الفسق حكر على السيئات العاهرات والقحاب ولكن تبين انه حتى الزوجات الشريفات يفعلن ذلك بمن فيهن نساء الانبياء كلهن كن يستلقين مثلي وكما افعل انا على ظهورهن ويرفعن سيقاهن ليستلقي الرجل فوقها ويفعل بها مايفعله رجلي بي كان الفخر كل الفخر للرجل وللرجل وحده هو المعطي وهو الفاعل الم تقل جين سيمونز في فيلم Say hello to yesterday يجب ان لايترك الخيار للمراة كانها كانت تقرا افكاري تماما ونعم تعلم المراة الامية الجاهلة والطبيبة واستاذة الجامعة وامراة النبي والحرة والعاهرة ان الامر كله بيد الرجل واننا محض متلقيات لا اكثر ولكنني استطعت ان اتخلص واتحرر من هذا الالتزام حالما جلست فوقه وتركت وركي يرقص فوق قضيبه الشامخ نعم تحررت واخذت زمام الامر بيدي ولكني لم اصفعه على وجهه كما فعلت تلك المراهقة العاهرة عندما جلست فوق قضيب جارها ووالد صديقتها في مسلسل Calfornication بل كنت انحني فوقه واقوم بتقبيل وجهه والثم شفتيه واعبث بلساني في اذنيه واصرخ بصمت واتاوه كما اريد واحذره لاتقذف ليس الان كما تفعل فتيات مسلسل Sex and the city قبل ان اشاهده باكثر من ثلاثة عقود كنت انا القائدة وانا المبادرة وكان يسمح لي بفعل ما اريد كنت احب وضعية الفارسة احبها كثيرا غدا وغدا وغدا حتى المقطع المكتوب الاخير من الزمن المكتوب كان يرددها دائما مقدمة احدى قصائده التي كتبها مطلع السبعينيات عندما كان يقرا لشكسبيراضافة الى مقاطع عديدة من قصائد اليوت التي كان يحفظ بعضها كنت احب ان اسمعه يقرا باللغة الانكليزية

**Let us go then, you and I,**
**When the evening is spread out**
**against the sky**
**Like a patient etherized upon a table;**

**Let us go, through certain half-deserted streets,**
**The muttering retreats**
**Of restless nights in one-night cheap hotels**
**And sawdust restaurants with oyster-shells:**
**Streets that follow like a tedious argument**
**Of insidious intent**
**To lead you to an overwhelming question...**
**Oh, do not ask, "What is it?"**
**Let us go and make our visit.**

**In the room the women come and go**
**Talking of Michelangelo.**

كان بيتنا الصغير واحدا من 911 بيتا بمساحة 108 متر مربع بنتها الدولة ابان حكم الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم مطلع الستينيات لحل مشكلة سكان الصرائف والمهاجرين الى بغداد خاصة من الجنوب مكونة من غرفتين مع مرافقهما كنت اعرف ان الله معي وانه يمهل ولايهمل تعلمت ذلك من المدرسة لن يتخلى عني الرب ربي كيف يتخلى عني ويتركني لمصير مجهول ومستقبل مظلم لا ابدا حياة المراة في الزواج لا ادري من القائلة وكنت راضية بذلك اي بالزواج اذا كان فيه خلاص كما ترى الافلام والمسلسلات المصرية فاهلا به وبما ياتي به اهلا بهما معا الزواج والزوج سانتظر كنت جيدة في

الانتظار اجيده بشده الانتظار جيد الزواج يعني الخروج من الجحيم والحياة قبله عذاب والم وكنت صغيرة جدا نحيفة بلا لحم جافة ويابسه ولولا بضعة عضام واعصاب لسقطت منذ زمن طويل ولكن الفتيات يكبرن وينمين بسرعة ويتغير شكلهن وينمو كل شيء فيها تكبر الشفتان وينفجر الثديان الناعمان كانهما برعمان ويبقى الخصر نحيفا يكاد يتقصف عندما تمشي ويمتشق القوام الذي لولا المؤخرتين لتكسر وهوى ولكن رغم حياتها المضنية المؤلمة تستطيع الفتاة اي فتاة الحصول على شيء من الرضا والهناء ولقد حصلت على الكثير من الرضا نعم لقد كنت راضية وممتنة لم اطالب بالمزيد او بالمعجزات كنت راضية وقانعة بما ياتي وبما احصل عليه لم اطلب شيئا لم اقل اريد ان اتزوج كما تفعل الفتيات في الافلام المصرية ويفرحن بجنون كلما سمعن عن مجيء احدهم لخطبتها وبلى لقد فرحت عندما قال لي ابي ان فلانا تقدم لخطبتك فرحت نعم وفرحت كثيرا كانني كنت اتمنى ذلك وكانني كنت اخطط لذلك ولكنني لم اكن على الاقل لا اتذكر انني فعلت ذلك هل تجرؤ مثلي على التفكير والتخطيط او حتى ان احلم بهذا لم يكن جسدي يصلح للزواج كان صالحا لراقصة باليه او دمية في محل ازياء كيف يصلح هذا الجسد لان يتمدد تحت رجل يزن قرابة الثمانين كيلوغراما كنت اخاف ان يفطرني او يكسرني لولا انني تذكرت ان الكثير ممن كنت اعرفهن وكن انحف واضعف مني قد تزوجن وحبلن وانجبن واصبحن بمرور السنين بدينات وثخينات وذلك طمانني كثيرا واخبرته بكل ذلك واخذنا نضحك على هذه الذكريات كلما تقدم بنا العمر كنت احبه وكنت اشتهيه وكنت اخاف عليه ان يكبر كنت اراه رقيقا لايحتمل اي شيء خفت عليه كثيرا من المرض ومن خدمته في الجيش والتحاقه بالجبهة مباشرة عند الحجابات وقصف الراجمات على السريتين الاخريين عندما امر امر السرية معاونية ان ياخذوه بعيدا عند زمرة الهاونات خوفا من تحول قصف العدو الى سريته لمصادفة يوم غد انتهاء معايشته التي فرضتها القيادة على من لم يلتحق بالجيش

بسبب العمل او الدراسة خارج البلد وكنت اخاف عليه كلما ترك العمل في هذه الشركة او تلك الشركة وخفت عليه اكثر قبل ذلك عندما احال نفسه على التقاعد قبل اكماله الخدمة المقررة مستغلا قرارا للدولة تجيز للموظف الذي اكمل خمسة عشرة سنة في الوظيفة وانهى خدمته العسكرية ان يحيل نفسه على التقاعد وكنت اخاف عليه واقلق كثيرا كلما خرج للعمل او خرج للتسوق او لزيارة احد ما لقد مارست الجنس معه كثيرا وكان مايرعبني ويثيرني حقا انني في كل مرة نكون معا اردد في نفسي هل هذه اخر مرة امارس الجنس معه او امارسه على الاطلاق هل هذا اخر قضيب يلتقطه مهبلي ويبقى هناك لبعض الوقت هل هذه اخر مرة ام ستكون هناك مرات اخرى كنت اريد ان اكون سعيدة ولكني لم اكن اعرف ماهي السعادة ان يمر اليوم بدون شجار بدون صداع او الام بدون مغص او بلا الم عند مجيء الدورة الشهرية ماهي السعادة ان تحصلي على النشوة بالطريقة التي تريدينها ان ياتي لك احدهم بهدية جميلة ان يقول لك احدهم شيئا يسرك كان يقول لك عاشت ايدج على هذا الطبخ اللذيذ وشكرا لك على ضيافتك الكريمة وعلى كرمك وسخائك ماهي السعادة ان تكتب رواية يقرؤها الجميع ويسالك عنها الكل ان يتردد اسمك في المجالس انك صاحب هذه القصيدة وصاحب ذلك المنشور ان يتداول الاخرون قصيدتك التي سجلتها على فيديو ونشرتها على حسابك في اليوتيوب هل هذه هي السعادة ان تشعري بالاطمئنان لانك تملكين اكثر من خمسين مليون دينار ذهب وبضعة عقارات وبستان وعمارة مؤجرة كمدرسة اهلية وسيارة لكزس كنت اقول له عندما يكون مريضا ياعلي ارجوك لاتمت قبلي وكان رده دائماانا الان في الخمسين او انا الان في الستين واخيرا وقبل ان يعتقل قال لي حسنا انا الان في السبعين حددي لي عمرا للموت وساقبل به حتى اذا قلت مئة عام ساقبل اما زلت تدعين لي بطول العمر ساقبل بهذا الدعاء ولكن شرط ان تحددي لي عمرا للموت لعله يسمع كلامك الان بعد ان ظل طويلا يستمع وينفذ ويستجيب لدعائك مازلت حيا كما تريدين كنت اعرف ان

لكل رجل قبلته الاولى ولكل امراة قبلتها الاولى البعض يحصل عليها في ليلة الدخلة وهم قلة اما الباقون فيحصلون عليا في وقت مبكر مبكر جدا قبل سنوات طويلة من ليلة الدخلة وانا اعترف لكم انني حصلت على قبلتي الاولى التي لم تكن طويلة ولاقصيرة في وقت مبكر وقبل سنوات من تلك الليلة الكشرة كان طعمها رائعا واذكر انها لم تكن تشبه اي شيء شممته او تذوقته لاقبلها ولابعدها ظل طعمها في فمي وفي انفاسي حتى اليوم التالي كنت سعيدة بها كانت سريعة ولكن لم تكن سريعة جدا وضع شفتيه على فمي ولااتذكر ماذا فعل هناك لم نكن نعرف شيئا عن القبل كنا نعتقد ان المتزوجين هم وحدهم الذين يمارسونها ويعرفون سرها انا عرفت سرها لاحقا عندما كنت انام على ظهري وياتي الى جانبي يضع ذراعه الايمن تحت رقبتي وياخذني اليه ويسمح لي بان امد ساقي اليمين بين ساقيه ليترك يده اليسرى تتجول فوق جسدي فيما فمه ولسانه يتصارعان على فمي المستسلم كنت كلما قبلني تذركت الفتيات في الافلام العربية والاجنبية كيف يغمى عليهن في بعض المشاهد التي كانت تفلت احيانا من مقص الرقيب في تلفزيون بغداد ابان فترة الستينيات وخلال فترة حكم حاول تقليد كل شيء في مصر ابتداء بالسياسة وانتهاء بسماحه بعرض مشاهد الرقص الشرقي التي تظهر فيها الراقصة شبه عارية حيث كانت الراقصات يتحكمن بنوع الرقصة او نوع ثوب الرقص تبعا لتعليمات الحكومة ورقابتها التي كانت تتشدد احيانا وتترك الحبل على الجرار احيانا اخرى ويقال بهذا الصدد ان الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر عندما جاء الى الحكم اوائل الخمسينيات اراد منع الرقص الشرقي فثارت ثائرة الناس واعترض الجميع باستثناء مؤسسة الازهر التي ايدت كما اتذكر قرارعبدالناصر الذي سارع وتحت ضغط الشارع الذي كان بحاجة الى دعمه وتاييده في خططه ومشاريعه المستقبلية الى الغاء القرار او تعديله كما قيل حيث سمح بالرقص ولكن شرط تغطية الصرة اي صرة بطن الراقصة وبقي الجميع يستمتع بالرقص الشرقي ويستمتعون اكثر بما تسمح به

حركات الراقصة من عرض ولو للحظات قليلة من اعلى الفخذ اي جزء لاباس به من مؤخرتها .كنت دائما اقول الحمدلله ان النساء لايمرضن كثيرا سوى في حالات معينة كالحمل والولادة والنفاس لاني رايته كيف يكون مهموما وقلقا ومضطربا كلما راني راقدة في السرير يمر بي وينحني يقبلني ويسالني اسويلج جاي او بابونك او اي شيء اخر والحمدلله ان مرضي لم يكون يطول كثيرا كنت اصاب بنزلة البرد بداية كل شتاء لاننا لم نكن نتقي البرد كما امر الامام علي عليه السلام عندما كان يقول اول البرد اتقوه واخره تلقوه فانه يفعل في الابدان فعله في الاشجار اوله مورق واخره محرق . لم نكن نتبع هذه النصيحة الثمينة لذلك كنا قليلا ما ننجو من اول برد . ومازلت احبه حتى وهو بعيد عني كما كنت احبه عندما كنت انام تحته او اتمدد فوقه او عندما يغيب لايام او اسابيع ومازلت احبه وهو بعيد لكنني اراه كل اسبوع بعيوني كل مرة وبعين عبدالحميد بضع مرات لاادري لماذا سمحت له ان ياخذ فرصتي في زيارة زوجي انه حقي اليس كذلك ماذا قال لي لكي اقتنع باقتراحه قال دعيه ياتي لزيارتي لن يبقى سوى بضع دقائق ولكن عبدالحميد المتحدث اللبق الذي لايسمح للاخرين بمقاطعته استولى على كل مدة الزيارة وبقيت انا انتظر تحت شجرة الكالبتوس البائسة خارج المعتقل وحدي بعد ان دخل الجميع لمقابلة احبائهم بقيت انا انتظر خروج عبدالحميد الذي كان اخر من خرج واردت ان اتنفس الصعداء بعد الانتظار الطويل الا انني لم افعل كنت غاضبة عليه وعلى زوجي الذي سلبني حقي في رؤيته لقد راني حال خروجه من الباب الرئيسي لقد كان طويلا ربما لانه كان نحيفا جدا وكل من حوله كان قصيرا نساء بعباءات سود لقد رايته بشعره الفضي اللامع وقامته المديدة  توقف برهة ثم استدار باتجاهي لقد قرر المجيء الي فكرت ماذا يريد هل بلغه زوجي شيئا ما لابد انه سيكون خبرا مهما كنت افكر بسرعة انه يتقدم نحوي ويحاول تفادي سيل النسوة اللواتي خرجن واحدة تلو الاخرى يملان الرصيف العريض الذي كان فارغا تماما قبل دقائق وانا كنت عبر

الشارع اراقب هذا السيل الاسود الذي خرج فجاة من تلك الباب الصغيرة كان عبدالحميد وسطهن يحاول ان يجد منفذا ليقفز الى الشارع ويتخلص من كومة السواد المحيطة به لكنه وقبل ان يضع قدمه على اسفلت الشارع المغبر صاح به احدهم وسط عاصفة العباءات السود دكتور ؟؟؟؟ لم يلتفت لكن الصوت عاد مرة اخرى وبقوة يصيح عبدالحميد .. وحاول عبدالحميد ان لايلتفت الا ان يدا من خلال عباءتين ظهرت فجاة لتمسك باسفل سترة عبدالحميد وتمنعه من النزول الى الشارع وقد كانت مفاجاة سريعه حاول فيها ان لايفقد توازنه ويمد يده ليمسك باليد التي كادت ان تفقده توازنه ليعود بقدمه التي مدها باتجاه الشارع الى حافة الرصيف ويلتفت على مضض وربما قليلا من الغضب مع شيء من الدهشة باتجاه صاحب اليد الذي ظل يتحدث كما يبدو الى ان ادرت وجهي الى جهة اخرى بعد ان انتبهت ان النسوة اللواتي بدان بالنزول الى الشارع لعبوره باتجاه السيارات التي وقفت بشكل عشوائي في الساحة الترابية التي تواجه المعتقل اخذن يرمقنني بشيء من الفضول والتساؤل لماذا لم تدخل ؟ ماالامر ؟ شعرت بما يفكرن لكنني لم اعرهن اية اهمية كنت افكر بعبدالحميد الذي ما ان قررت اعادة وجهي صوبه حتى رايته يمر من جانبي وصاحبه على بعد خطوة او خطوتين لان عبدالحميد كان اكثر رشاقة وخفة من صاحبه الثخين اربكتني رؤيته فجاة حاولت التبسم لكنه بادرني وهو ينظر باتجاه شيء ما خذيه الى باريس انه بحاجة الى فنجان قهوة تحت برج ايفل او بضعة فناجين اخرى في مقهى دي فلور *(المقهى الباريسي الشهير الذي كان يجلس فيه الفيلسوف والاديب الفرنسي جان بول سارتر وكتب فيه معظم كتبه ومنها كتاب الوجود والعدم)* , لا ادري ماالذي حدث ظننت انه يتحدث مع نفسه او مع شخص اخر امراة اخرى ربما كنت مرتبكة وغير واثقة من اي تصرف قد اقوم به بعد تلك العبارات التي القاها عبدالحميد وهو يسرع الخطى باتجاه سيارته السوبرصالون البيضاءالتي صعد اليها وقام بتشغيلها بسرعة دون ان يعير اهمية

للرجل الذي ظل يتبعه باصرار وانطلق بالسيارة وهو يسمع اخر كلمات التوسل التي ظل يقولها الثخين دكتور ارجوك الله يخليك بس هالمره كنت قد استدرت بالكامل تجاه هذا المشهد الذي حصل بسرعة كبيرة دون ان يسمح لي الوقت لاستيعاب وفهم ماحدث . وعن زوجي عن الدكتور موسى, عن الدكتور عبدالحميد, انه قال, طز بالحكومة , وطز بالشعب, وطز بالاحزاب, وطز اقولها بقوة, طز بالحزب الشيوعي, ولاتعترض ياموسى , اننا كنا نامل منكم خيرا , بعد ان توفرت لكم الظروف, واتيحت لكم اكثر من فرصة , لكنكم لم تغتنموها. كضيتوها بالخريطي, التهيتوا بالشرب , والنقاش الفارغ, كنت كلما جلست معكم اشعر بالفخر وبالسعادة , اننا شعب محظوظ , محظوظ حقا, ان تكون بنا مثل هذه العقول النيرة , في الاقتصاد والعلوم والانسانيات وغيرها . عقول يمكن ان تبني وطنا حرا ومزدهرا. ولكن يادكتور عبدالحميد طز بعبد الحميد وطز بيك ياموسى لقد مهدتم الطريق لكل السفلة والفاسقين وقطاع الطرق والجهلة والحاقدين واصحاب العقول الضيقة ان يتحكموا بالعراق كما يتحكم طفل بعصفور يتيم لقد كانوا ينيكوننا ياموسى هل تعلم ذلك هل يعلم حزبكم الموقر انهم كانوا ينيكون العراق كله على مدى عقود من وره ومن كدام وانتم ملتهين بالويسكي والجاجيك تقصد العرك والجاجيك اي اقصد الخره والجاجيج والله لعبتوا نفسنا وسئمنا من نزاهتكم السخيفة خاصة بعد سقوط النظام في 2003 كنا ننتظركم وايدنا بريمر وامريكا لانها اقترحت النظام الديمقراطي للعراق رغم انكم تعلمون قبل وبعد ذلك ان العراق والعراقيين مو شكول ديمقراطية احنه ياموسى مو مال ديمقراطية احنه مال جلاليق ميفيدنا نظام ديمقراطي تعرفون كلش زين ان العراقيين ميفيدهم غير واحد اخ كحبة . لقد خذلتمونا وقفنا معكم ضد راي مرجعية محسن الحكيم عندما قرر عدم التعامل معكم لانكم كفرة وملاحدة بعد ان قربكم الزعيم عبدالكريم قاسم الذي لم تنصروه ولم تقفوامعه وربما لم تنصحوه لم تنصحوه اليس كذلك لانكم كنتم ملتهين بالتنظير

والحوارات والجدال واصدار البيانات لم تفعلوا شيئا للعراق وللعراقيين حتى بعد ان كنتم قريبين جدا من استلام السلطة وهذا امر يحيرني فعلا لماذا لم تستطع او تحاول الاحزاب الشيوعية خارج منظموة الكوميكون في اوربا وامريكا اللاتينية ودول العالم الثالث من السيطرة على الحكومة لماذا انت لاتختلفون عن البعثيين ولا عن العسكر الذين يبيعون امهاتهم من اجل الوصول الى السلطة كان البيان الاول دائما يتحدث عن الوطن والشرف والشعب وخدمة الشعب وكل هذا كان هراء محض هراء اعتقد انكم نجوتم عندما لم تقرروا الصعود الى كرسي الحكم ربما نجحتم لهذا السبب لكنكم اخطاتم ايضا بعدم الوصول الى السلطة لو وصلتم الى السلطة فعلا كنا سنقبل بكم حتما اذا ما اسقطتم الملكية او انقلبتم على عبدالكريم او اطحتم بالحكم العارفي اوثرتم على حكم البعثيين او ربما تحركتم بشكل صحيح للحصول على دعم الشعب في انتخابات مابعد 2003 واسستم لنظام ديمقراطي حر وجيد لماذا لم تفعلوا ذلك لقد قرانا لكم الاف البيانات والمقالات وحفظنا ايدولجياتكم عن ظهر قلب وكنا نتمنى ونامل ان تبادروا لاستلام السلطة او المشاركة مع جهة قادرة على استلام السلطة مادمتم جبناء وغير قادرين على الفعل اي نعم عزيزي موسى انتم اصحاب كلام مجرد كلام كما يقول رياض احمد لاتعرفون سوى الجدال والكتابة التنظيرية وحسب والشعب اي شعب لايريد الذين لايملكون سوى الكلام الشعب يريد فعل يريد عمل حتى اذا كان الصعود الى السلطة يتطلب شخصا ارعنا او عملا ارعنا مادامت الديمقراطية لاتاتي سوى بالاغبياء والسيئين والفاسدين سواء من رجال الدين او العلمانيين او , وهنا انتهت رسالة زوجي التي نقلها لي بواسطة الفلاش USB , يبدو انه كان يكتب بسرعة لكي يتذكر كل العبارات التي يقولها له الدكتورموسى , لم ار الدكتور عبدالحميد لعدة شهر وعندما سالت زوجي قال عاد الى انكلترة . ماذا يعني عاد هل كان مقيما في انكلترة نعم لديه جنسية بريطانية ويقضي معظم ايامه هناك ولاياتي الى العراق الا نهاية الصيف وبداية الشتاء

في شهر تشرين الثاني غالبا عندما يكون الصيف صيف العراق قد انتهى على الارجح وعادة مايكون وصوله الى بغداد مع اول امطارها التي اصبحت شحيحة في السنوات اللاحقة كان عبدالحميد رجلا يحب الوحدة ولكنه كما يعترف يحب ان يكون مع الاخرين ولكن لوحده اي ان يتركوه وشانه عندما يكون لوحده وهذا هو السبب الذي جعله يتزوج من امراة انكليزية حالما انهى دراسته الجامعية هناك وقبل مجيئه الى العراق وتعيينه في وزارة النفط التي ترقى في مناصبها حتى وصل الى منصب خبير لم يات بزوجته الى العراق الا بعد سقوط النظام لقد كان عبدالحميد سليط اللسان وقحا لايتورع عن توجيه النقد لاي كان ولايقبل بالعمل الخطا مهما كان وكان صارما وحازما في هذه الامور ويرضى من الاخرين التهاون فيها على طريقة العراقيين عندما تعاتبهم او تلومهم او تنتقدهم على تصرف ما مثل رمي علب السكائر والمناديل الورقية وعلب البيبسي وغيرها او البصاق من نافذة السيارة او في الشارع وغيرها الكثير ان يقولوا لك يمعود وهي كلمة تعني ان الله لايحاسب العراقيين على هذه التصرفات وان احدا ما او سلطة ما او جهة ما قد خولتهم او سمحت لهم بفعل هذه الامور وغيرها من التصرفات التي لم يكن عبدالحميد يطيقها ابدا ليس لانه عاش دهرا من حياته في انكلترا وتعود على عادات الانكليز ولكن لان هذه هي اخلاقه وهذه هي طبيعته التي جبل عليها يقول زوجي بودي لو انك تجلسين معه وتسمعينه عندما ينتقد اي تصرف او سلوك خاطيء انه يتحدث مثل نبي او واعظ او مرشد ولكن الفرق ان عبدالحميد صادق والاخرون اشك بامرهم لو ان لدينا عشرة مثل عبدالحميد لكنا بخير واحد في المخابرات وواحد في الامن العامة وواحد في امانة العاصمة واخر في الخارجية وواحد في الصحة الخ .